

PSYCHO  
PSYCHO

فريق  
متميزون



E-BOOK

الرواية التي  
تم تقديمها  
من خلال  
فيلم PSYCHO  
لهيتشكوك

روبرت بلوخ

نفوس

ومعقدة

ترجمة محمد عبد العزيز



KOTOPIA  
PUBLISHING  
HOUSE

روايات مترجمة

مكتبة فريق\_متميزون).  
لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية  
قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة  
حصريه للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع  
على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان  
الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم  
الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه  
خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية  
وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج  
بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين  
حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد  
الكفيف في المجالات التعليمية العلمية  
والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات  
خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين  
أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة  
الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق -متميزون-

[انضم الى الجروب](#)

[انضم الى القناة](#)

# نفوس معقدة

رواية مترجمة..

الكاتب: روبرت بلوخ.

ترجمة: محمد عبد العزيز

# الفصل الأول

سمع «نورمان بيتس» صوت الضجيج، فارتجف جسده كله!

بدا كما لو أنّ أحدهم يدق على زجاج النافذة. رفع عينيه لأعلى، نصف مستعد للنهوض، فانزلق الكتاب من بين يديه نحو ساقه المثنية قبل أن يدرك أنه صوت الأمطار.

لم تكن إلا أمطار المساء التي تسقط في وقت متأخر لتضرب نافذة غرفة الجلوس. لم يلحظ «نورمان» قرب حلول الأمطار، ولا حتى لاحظ حلول الليل، لكنه لاحظ أن غرفة الجلوس صارت مظلمة فجأة، فمد يده نحو المصباح ليشعله قبل أن يستأنف القراءة. كان واحدًا من تلك المصابيح القديمة الطراز، ذات الزجاج المزخرف والشرائح الكريستالية. كان ذلك المصباح ملكًا لوالدته منذ قديم الأزل، وقد رفضت أن تتخلص منه!

لم يعترض «نورمان»، فقد عاش في هذا البيت طيلة الأربعين عامًا اللاتي تمثل عمره، وقد كان هناك شيء مبهج ومطمئن لكونه محاطًا بأشياء مألوفة. كل شيء هنا مرتب ومنظم؛ فهناك، بالخارج، تكمن كل التغييرات، ومعظم تلك التغييرات لا تزيد عن تهديدات محتملة. فلنفترض أنه قضى تلك العصرية في السير على سبيل المثال.

فلربما هطلت الأمطار عليه وهو في طريق جانبي مهجور، أو حتى وهو في المستنقعات، ووقتها ماذا سيفعل؟ سيغرق في المياه حتى عظامه، لتجبره على التخبط عائدًا للبيت وسط الظلام. ربما يصيبه التهاب رئوي مميت بتلك الطريقة، وبجانب هذا، فمن يرغب أن يكون بالخارج وسط هذا الظلام؟ المكان بغرفة الجلوس هنا أفضل كثيرًا، تحت المصباح، لا يصاحبه إلا كتاب جيد. تساقط الضوء على وجهه السمين، لينعكس على عويناته العديمة الإطار، لتستحم صلعته الوردية اللون الموجودة أسفل شعره الخفيف الذي بلون الرمال، بينما هو يُحني رأسه ليستكمل القراءة.

كان كتابًا مبهرًا، فلا عجب أنه لم ينتبه لسرعة مرور الوقت عليه. كان كتاب «مملكة الإينكا»، من تأليف «فيكتور و. فون هاجن». لم يصطدم «نورمان» من قبل بمثل تلك الكمية من المعلومات المثيرة. على سبيل المثال، هناك وصف للـ «كاشنا»، أو رقصة النصر، حيث يقوم المحاربون بصنع دائرة كبيرة، ويتلوون كالتعابين. قرأ: «دقات الطبول التي تصاحب تلك الرقصة غالبًا ما تتم على ما كان يمثل سابقًا جسد العدو؛ حيث يقومون بسلخ الجلد وشد البطن لتصنع طبلة، ويصبح الجسد بكامله بمثابة صندوق الصوت، بينما يخرج صوت الدقات من الأفواه المفتوحة، غريب لكن قوي!»

(تمت إعادة الطبع بالاتفاق مع المؤلف)

ابتسم «نورمان»، ثم سمح لنفسه بأن يرتجف من النشوة وهو يستعيد آخر مقطع - غريب لكن قوي! - يجب أن يكون الصوت الصادر كذلك طبعًا! تخيل أن تقوم بسلخ رجل -حي على الأغلب- ثم تقوم بشد بطنه لتستخدمه كطبله! كيف تمكنوا من فعل هذا؟ وأي مواد استخدموها للحفاظ على لحم الجثة لمنع تحللها؟

أي عقلية تمكنت من التفكير في مثل تلك الفكرة من الأصل؟

لم تكن أكثر الأفكار إثارة للشهية، لكن «نورمان» أغلق عينيه بنصف إغماضة، وكاد أن يتمكن من رؤية المشهد: خط طويل من المحاربين العاربيين، الذين يتلوون في رقصتهم المحمومة في وحدة كاملة تحت سماء موحشة خاصمتها الشمس، بينما ينحني الساحر العجوز أمامهم، يعزف أنغامه العديمة الرحمة على بطن العدو المشدودة. يتم فتح فم الجثة الملتوي من الألم عنوة، ويتم تشييته على شكل تقطية فاعرة، عن طريق بعض قطع العظام على الأرجح، لتتصاعد منه الأصوات!

الضربات التي تتساقط على البطن، والتي ترتفع من الفتحات الداخلية المنكمشة، لتجبر على المرور عبر أنبوبة طويلة هي القصبة الهوائية، لتخرج وقد تم تضخيم صوتها بشدة، لتمر عبر الحلق الميت!

للحظة كان بوسع «نورمان» سماع الصوت، ثم تذكر أنّ الأمطار لها نغمتها كذلك، ومثلها خطوات الأقدام!

في الواقع كان مدرّكًا لوجود الخطوات دون أن يسمعها حتى، فالاعتیاد ساعد حواسه عندما تدخل أمه الحجره عليه. لم يكن يحتاج أن ينظر لأعلى ليدرك وجودها. في الواقع، لم ينظر، وإنما تظاهر بأنه مستمر في القراءة. نامت أمه في غرفتها الخاصة، وكان يعرف كم يكون مزاجها متعكّرًا عندما تستيقظ. لهذا من الأفضل أن يبقى هادئًا، وليتمنى لو أنها ليست في إحدى حالاتها المزاجية السيئة.

- أتعرف كم صار الوقت يا «نورمان»؟

تهدد وهو يغلق الكتاب. أدرك أن الموقف سيكون صعبًا، فالسؤال نفسه عبارة عن تحدي، فأمه يجب أن تمر من أمام ساعة الجدار الصخمة الموجودة بالردهة لتتمكن من الوصول لهنّا، أي أنها كان بوسعها بسهولة أن ترى كم هي الساعة! لكن لا يزال الموضوع لا يستحق أن يكون سببًا لشجار. نظر «نورمان» لأسفل نحو ساعة يده، ثم ابتسم. أجابها:

- بعد الخامسة بقليل. لم أدرك كم أن الوقت تأخر، فقد استغرقت في القراءة.

- ألا تظنني أملك عينان؟! أرى جيدًا ما كنت تفعله!

صارت عند النافذة، تحديق في الأمطار المتساقطة بالخارج.

- وأستطيع أن أرى ما لم تكن تفعله كذلك. لماذا لم تقم بإشعال اللافتة الموجودة بالخارج عندما حل الظلام؟ ولماذا لست في المكتب حيث يجب أن تكون؟

- حسنًا، لقد حلت الأمطار الثقيلة، فلم أظن أن هناك أي سيارات ستمر في مثل هذا الطقس.

- هراء! هذا هو الوقت المناسب الذي يمكن أن تحظى فيه ببعض الزوار! الكثير من الناس لا يجرؤون على القيادة أثناء الأمطار.

- لكن ليس من المنطقي أن يأتي أي شخص في مثل هذا الطقس السيئ عبر هذا الطريق.. الجميع يفضلون الطريق السريع الجديد.

لاحظ «نورمان» المرارة التي تسللت لصوته، فيشعر بها تتزايد في حلقه حتى كاد يشعر بطعمها، وحاول أن يحجمها. لكن تأخر الوقت، كان يجب أن يتقيا ما بداخله:

- أخبرتك أننا كان يجب أن نستغل الفرصة عندما نصحونا بالرحيل لأنهم ينشئون الطريق السريع الجديد. كان بوسعك بيع الفندق وقتها، قبل أن يتم الإعلان عن مشروع الطريق السريع الجديد على الملأ. كان بوسعنا شراء مساحات شاسعة من الأراضي في مكان الطريق السريع الجديد بثمن بخس وقتها، وبالقرب من بلدة «فيرفيل» كذلك. كان بوسعنا أن ننشئ فندقًا جديدًا، بيتًا جديدًا، وكان سيبقى معنا بعض المال. لكنك لم تسمعيني! لا تسمعيني أبدًا، صح؟ يجب أن نفعل ما تريدينه وما تفكرين فيه! أنت تشيرين اشمئزاري!

- هل أنا كذلك فعلاً يا صغيري؟

بدا صوت أمه لطيفًا بطريقة مخادعة، لكن الخدعة لم تنطل على «نورمان». ليس عندما لقبته بـ «صغيري». لقد صار في الأربعين من عمره وهي لا تزال تناديه صغيري! هذه هي الطريقة التي تعامله بها كذلك، وهو ما يجعل الأمور أسوأ. يتمنى لو لا يسمعها! لكنه يفعل، يعرف أنه يجب أن يسمع. كررت بلهجة أرق من السابقة:

- هل أنا كذلك يا صغيري؟ هل أثير اشمئزازك؟ حسناً، لا أظن.. لا أظن أنني أثير اشمئزازك يا صغيري، بل أنت من تثير اشمئزاز نفسك! هذا هو السبب الحقيقي لكونك تجلس هنا على هذا الجانب من الطريق، أليس هذا صحيحاً يا «نورمان»؟ لأن الحقيقة هي أنك لا تملك أي ذكاء، ولم تملك أبداً! هل لديك أي ذكاء من أي نوع يا صغيري؟ أنت لم تجرؤ أبداً على مغادرة البيت، أو الالتحاق بالجيش، أو حتى أن تعثر لنفسك على فتاة.

- أنت لم تتركي لي الفرصة!

- هذا صحيح يا «نورمان»، لم أترك لك الفرصة. لكن لو أنك نصف رجل حتى، لاخترت أن تمضي في طريقك.

أراد أن يصرخ فيها أنها مخطئة، لكنه لم يستطع لأن الأشياء التي قالتها كانت نفس الأشياء التي قالها لنفسه أكثر من مرة، مراراً وتكراراً، وطيلة تلك السنين.

كانت مُحقة!

صحيح أنها كانت تضع له القوانين، لكن ليس معنى هذا أنه مجبر على الرضوخ. أحياناً ما تكون الأمهات شديداً التحكم، لكن لا يسمح كل الأبناء لهن بالتحكم فيهم. هناك أرامل أخريات، وأبناء وحيدين آخرين، ولم ينغمسوا في مثل تلك العلاقة التي تجمعهم بأمه. كانت غلطته فعلاً بقدر ما هي غلطتها. لأنه لم يملك أي إرادة أمامها!

قالت:

- كان بوسعك الإصرار لو أنك ترغب. فلنفترض أنك خرجت وعثرت لنا على مكان جديد، وعرضت هذا الفندق للبيع، لكن لا، كل ما تفعل في فعله هو النحيب! وأنا أعرف السبب. أنت لم تخدعني للحظة، فأنت لم ترغب حقاً في الانتقال من هنا. أنت لم ترغب في الرحيل من هذا المكان، ولن تفعلها أبداً الآن، أبداً. لا تستطيع الرحيل، صح؟ ولا حتى تستطيع أن تنضج!

لا يستطيع النظر نحوها. ليس عندما تقول أشياءً مثل هذه، لا يستطيع. لكن المشكلة أنه ليس لديه مكان آخر ينظر إليه كذلك. المصباح الزجاجي، الأثاث المحشو الثقيل القديم، وكل تلك الأشياء المألوفة بالغرفة، كلها صارت كريمة بالنسبة له من شدة ما صارت مألوفة له، كأنها أثاث زينة سجن!

نظر عبر النافذة للخارج، لكن لم يكن هذا خياراً جيداً كذلك، فلم يكن هناك بالخارج إلا الرياح والأمطار والظلام. عرف أنه لا مهرب له هناك كذلك. لا مهرب لأي مكان من صوت دقات الطبول!



الصوت الذي أخذ يدق داخل أذنيه كصوت جثة الأينكا التي ذكرت بالكتاب؛  
طلبة الموتى. شدد قبضته على الكتاب وحاول أن يركز عينيه عليه. ربما لو  
تجاهلها وتظاهر أنه هادئ، لكن لم تنجح الحيلة. قالت:

- انظر لنفسك!

(استمر صوت الطلبة بوم-بوم-بوم، قبل أن ينعكس من داخل الفم  
المشوه!)

- أعرف لِمَ لَمْ تُكلف نفسك عناء إنارة اللافتة. أعرف لماذا لم تذهب لفتح  
المكتب الليلية! أنت لم تنسَ أن تفعل، وإنما لم ترغب في أن يأتي أي  
شخص.. تتمنى لو لا يأتي أي شخص!

- حسناً... أعترف بهذا.. أكره إدارة فندق، ولطالما كرهتها!

تمتم بصوت خافت، لكنها استمرت في تقريره:

- الأمر أكثر من هذا يا صغيري.. (ها هي قد عادت لنفس الكلمة اللعينة  
«صغيري صغيري صغيري» التي بدت كدقات طبول تخرج من بين أنياب  
الموت!) أنت تكره الناس، لأنك - في أعماقك - تخاف منهم، صح؟ لطالما  
كنت كذلك، منذ كنت طفلاً. كنت تفضل أن تجلس على كرسي الصلاة أسفل  
المصباح تقرأ.. فعلتها من ثلاثين سنة، ولا زالت تفعلها حتى الآن.. كأنك  
تحاول الاحتماء بتلك الكتب.

- أليس هذا أفضل من فعل أشياء أخرى سيئة؟ أنت من اعتدتني إخباري  
بهذا. على الأقل لم أذهب للخارج وأتورط بمشاكل. أليس من الأفضل أن  
أنمي عقلي بدلاً من هذا؟

- تنمية عقلك؟ هاه!

يستطيع الشعور بها تقف خلفه الآن، وهي تنظر لأسفل نحوه.

- أتسمي ما فعله تنمية عقل؟ أنت لا تخدعني يا صغيري، ولا للحظة واحدة  
حتى! لم تخدعني أبداً! أنت لا تقرأ الإنجيل بعد كل شيء، أو حتى تحاول أن  
تظفر ببعض التعليم. أعرف نوعية الأشياء التي تقرأها. مجرد قذارات، وربما  
أسوأ!

- الكتاب الذي معي يتحدث عن حضارة الإينكا!

- أوه، حقاً؟ أنا متأكدة أنه يمتلئ بالكثير عن أولئك البدائيين المتوحشين!  
بالضبط كالكتاب الآخر الذي كنت تقرأه عن بحار الجنوب. أوه، هل فاجئتك؟

لم تكن تعرف أنني رأيتك، صح؟ ظننت أنك تخفيه عني في غرفتك كما اعتدت أن تخفي كل تلك القاذورات التي تقرأها!

- علم النفس ليس قاذورات يا أمي!

- هاها.. يدعوها علم نفس! يا لك من رجل مثقف! لن أنسى ذلك اليوم الذي تحدثت فيه معي بتلك الطريقة القذرة، أبدًا! لا أستطيع أن أصدق أن هناك ابن يستطيع قول مثل تلك الأشياء لأمه!

- لكنني كنت فقط أحاول شرح شيء.. كنت أخبرك عما يطلقون عليه «عقدة أوديب».. وظننت أنه لو قمنا كلانا بالنظر للمشكلة بطريقة عقلانية وحاولنا فهمها، فربما تتغير الأمور للأفضل!

- تتغير يا صغيري؟ لا شيء سيتغير. تستطيع قراءة ما تشاء من كتب وستظل على حالك. لا أحتاج لسماع كل تلك النظريات وكل هذا الهراء لأعرف حقيقتك! حتى طفل في الثامنة من عمره يستطيع تمييز حقيقتك. كل رفاقك الصغار استطاعوا تمييز هذا عندما كنت طفلًا.. ابن أمك! هذا هو اللقب الذي أطلقوه عليك، وهذه هي حقيقتك، حقيقتك وقتها، والآن، وبالمستقبل! مجرد طفل بدين ضخم متعلق بأمه!

شعر بكلماتها تكاد تصيبه بالصمم. ظلت دقائق كلماتها تتردد داخل صدره فتشعل جنونه.. أشعره اللؤم الواضح في كلماتها بالاختناق. في لحظة ما سيتوجب عليه أن يبكي. هنز «نورمان» رأسه. فكرة أنها لا تزال تستطيع فعل هذا به، حتى هذه اللحظة! لكم يثير هذا غيظه!

لكنها تستطيع، كما استطاعت بالماضي، وستستطيع طيلة الوقت فعلها.. طول الوقت وعلى الدوام، ما لم...

- ما لم ماذا؟!

رباه، هل بوسعها قراءة أفكاره؟

- أعرف ما تفكر فيه «نورمان». أعرف كل شيء بخصوصك يا صغيري. أكثر مما تظن. أعرف كذلك ما يجول في رأسك وتحلم به.. تظن أنك ترغب في قتلي، أليس كذلك يا «نورمان»؟ لكنك لا تستطيع فعلها. لأنك لا تمتلك الجرأة لتفعل. أنا من أملك القوة، ولطالما كنت كذلك. قوة تكفي كلانا. لهذا لن نحاول أبدًا التخلص مني، حتى لو كنت ترغب في هذا بشدة. طبعًا في أعماقك أنت لا ترغب حقًا في هذا. أنت تحتاجني حقًا يا صغيري.. هذه هي الحقيقة، صح؟

انتصب «نورمان» واقفًا.. لم يجرؤ على الوثوق في قدرته على الالتفات والنظر نحوها، ليس بعد.

توجب أن يخبر نفسه أن يهدأ. يجب أن تكون شديد الهدوء يا فتى. لا تفكر فيما تقوله لك. حاول مواجهة الموقف بشجاعة.. تذكر أنها مجرد امرأة عجوز، وليست سليمة العقل بالكامل.. لو أنك استمررت في الاستماع لكلامها ستصاب بالجنون مثلها.. أخبرها أن تذهب لغرفتها، وتستلقي فهذا هو المكان الذي تنتمي إليه.. والأفضل لو أنها تذهب سريعًا، فلو لم تفعل، ستقوم بخنقها بالقلادة الفضية التي ترتديها حول عنقها!

بدأ فمه يعمل، محاولاً تنميق العبارات التي سيقولها، عندما رن جرس مكتب الاستقبال!

معنى هذا أن هناك من توقف عند مدخل الفندق ويرن الجرس.

ودون حتى أن يكلف نفسه النظر خلفه، سار «نورمان» نحو الردهة، أخذ معطف الأمطار الخاص به من على المشجب، قبل أن يغيب وسط الظلام!

## الفصل الثاني

مرت بضع دقائق من هطول الأمطار قبل أن تلاحظها «ماري» فتقوم بتشغيل مساحة الزجاج بالسيارة!

وفي نفس اللحظة قامت بإشعال الكشافات، فقد حل الظلام فجأة، وقد صار الطريق أمامها مجرد شريط غائم باهت يمتد بين الأشجار. أشجار؟ لا تستطيع أن تتذكر رؤية الأشجار آخر مرة قادت فيها عبر هذا الطريق. طبعًا كان هذا بالصيف الماضي، وقد أتت وقتها لـ «فيرفيل» وسط النهار، وهي منتبهة بالكامل ومنتعشة. أما الآن فهي مجهدة جراء الثماني عشرة ساعة المتواصلة التي قضتها في القيادة، لكنها لا تزال تستطيع تذكر الطريق حتى ولو بشكل مبهم، وهي تشعر أن هناك شيء خاطئ!

تذكرني!

كانت تلك هي الكلمة التي أطلقت العنان لكل الذكريات داخل عقلها!

الآن تستطيع أن تتذكر، بضعف، كيف ترددت منذ حوالي نصف ساعة، عندما أتت لتقاطع طريق. هذا هو السبب، لا بُدَّ أنها قد أخذت منعطفًا خاطئًا. وها هي الآن، يعلم الله وحده أين هي، وها هي الأمطار تتساقط عليها والظلام يكسو كل الموجودات بالخارج.

تمالكي نفسك حاليًا! لا تمتلكين رفاهية الشعور بالذعر. لقد انتهى أسوأ جزء!

تصاعد صوت بداخلها يقول هذا، فوجدت نفسها تقول أن كلامه صحيح. لقد انتهى أسوأ جزء بالفعل. أسوأ جزء حدث بعصر البارحة، عندما سرقت النقود!

كانت تقف في مكتب السيد «لوبري»، عندما اقتحم «تومي كاسيدي» العجوز المكان بتلك الكومة الكبيرة من النقود، ليضعها على المكتب. ستة وثلاثون ورقة تحمل صورة ذلك الرجل البدين الذي يبدو كالبقالين، وثمانية آخرون يحملون صورة وجه رجل يبدو كالحانوتيين، لكن الرجل الذي يبدو كبقال هو «جروفر كليفلاند»، أما الذي يبدو كحانوتي فهو «ويليام ماكينلي». وبإضافة ستة وثلاثون ألفًا على ثمانية ورقة من فئة الخمسمائة دولار، فإن هذا يجعل المجموع أربعين ألف دولارًا!

وضعهم «كاسيدي» على المكتب ببساطة، وهو يلوح بهم وهو يقول أنه انتهى من الصفقة وسيقوم بشراء بيتًا كهديّة زفاف لابنته. تظاهر السيد «لوبري» بأنه يتعامل مع مثل هذا المبلغ طيلة الوقت، وحاول أن يبدو طبيعيًا بقدر الإمكان، لكن بعد أن رحل «تومي كاسيدي» العجوز، بدا الحماس على

السيد «لوپيري» فأمسك بالنقود في حرص، ووضعها في مظروف بني مناسب، قبل أن يغلقه في إحكام. لاحظت «ماري» كم ارتجفت يداها. قال لها وهو يناولها المظروف:

- هاك. خذيها للبنك، الساعة الآن الرابعة تقريبًا، لكنني متأكد من أن «جيلبرت» سيدعك تقومين بذلك الإيداع.

وقف ناظرًا نحوها.

- ما الخطب يا آنسة «كرين»؟ هل أنت بخير؟

ربما لاحظ كيف ارتجفت يداها هي الأخرى عندما أمسكت بالمظروف. لكن هذا لا يهم. عرفت ما ستقوله، حتى عندما وجدت نفسها تندهش وهي تنطق به:

- أعتقد أنني مصابة ببعض الصداع فقط يا سيد «لوپيري». في الواقع كنت على وشك أن أطلب منك أن أحصل على إذن بالرحيل مبكرًا. فنحن جميعًا مشغولين بالقيام بإنهاء الخطابات والمراسلات، ولن تتمكن من إنهاء بقية الاستبيانات قبل يوم الإثنين.

ابتسم السيد «لوپيري» لها. كان بمزاج جيد، ولماذا لا يكون كذلك؟ خمسة بالمائة من مبلغ أربعون ألف دولار تساوي ألفي دولار، أي أنه يستطيع أن يصح كريمًا لبعض الوقت.

- طبعًا يا آنسة «كرين». قومي فقط بذلك الإيداع ثم عودي لبيتك. هل تريدني مني إيصالك؟

- لا حاجة لهذا، أستطيع أن أتعامل. كل ما أحتاجه هو بعض الراحة.

- ها هو الشيك. أراكي يوم الإثنين. تمهلي وخذي حذرك. دومًا أقول هذا.

تقول هذا في أحلامك! «لوپيري» القذر هذا مسعد لقتل نفسه مقابل دولار واحد إضافي، وطبعًا مستعد لقتل أي من موظفيه مقابل خمسون سنًا أخرى.

لكن «ماري» ابتسمت له بكل عذوبة، قبل أن تخرج من مكتبه ومن حياته، وقد أخذت الأربعون ألف دولار معها. لا تواتيك مثل تلك الفرص كل يوم في حياتك. في الواقع عندما تفكر بالأمر قليلًا، فالبعض لا تواتيهم أي فرص على الإطلاق!

لقد انتظرت «ماري كرين» فرصة مماثلة طيلة السبعة وعشرين عامًا التي تمثل عمرها!

تبخرت فرصتها للذهاب للكلية، فعند السابعة عشرة من عمرها، خبطت سيارة والدها. اضطرت «ماري» للذهاب لمدرسة أعمال لسنة عوضًا عن الكلية، قبل أن تعمل لتساعد والدتها وأختها الصغرى «ليلي». كما اختفت فرصتها للزواج في الثانية والعشرون، عندما تم استدعاء «ديل بيلتر» للخدمة العسكرية. وبعد فترة قصيرة استقر به المقام في «هاواي»، وقبل أن يمر وقت طويل بدأ يذكر تعرفه بفتاة هناك، ثم لم تلبث خطاباته أن انقطعت!

عندما عرفت بخبر زواجه فيما بعد كانت قد فقدت كل اهتمام بالوعد القذرا! بالإضافة لهذا، فقد كانت أمها مريضة للغاية بذلك الوقت. ماتت بعدها بثلاثة أعوام، بينما كانت «ليلي» لا تزال بالمدرسة. أصرت «ماري» أن تذهب أختها للجامعة، مهما كان الثمن، لكن الثمن كان أن تحملت هي كل شيء!

كانت تقضي وقتها إما في عملها بمكتب «لوپري» طيلة اليوم، أو تقوم بالعناية بأمها طيلة الليل، ولم يكن هناك وقت لأي شيء آخر. ولا حتى لتلاحظ مرور الوقت! لكن أمها أصيبت بسكتة دماغية أخيرة، قبل أن تتركها للأبد!

بعد هذا انشغلت في إجراءات الجنازة، ثم عودة أختها «ليلي» من الجامعة، ومحاولاتها أن تعثر على عمل، وفجأة وجدت «ماري كرين» نفسها وحيدة، تحرق في انعكاسها بالمرآة الضخمة الموجودة بغرفتها، لتلاحظ ذلك الوجه المجهد الهزيل الذي يرمقها من الجهة الأخرى. قذفت وقتها شيئًا نحو المرأة، التي تحطمت لألف قطعة، لكنها عرفت أن هذا ليس أسوأ شيء، فهي الأخرى كانت تتحطم من داخلها لألف قطعة أخرى!

كانت «ليلي» مساندة لها بشدة في تلك الفترة، وحتى سيد «لوپري» ساعدها كثيرًا بحرصه على أن يتم بيع البيت بسرعة. وعندما انتهت الصفقة، كان كل ما تبقى معهما هو ألفي دولار.

عثرت «ليلي» على وظيفة في محل تسجيل بمنطقة وسط البلد، وتمكنتنا من الانتقال لشقة صغيرة سويًا. قالت لها «ليلي»:

- الآن سيصبح بوسعك أخذ إجازة.. إجازة حقيقية. لا تجادليني! لقد تمكنتي من إدارة شؤون تلك العائلة لثمانية أعوام، وقد حان الوقت لتظفري ببعض الراحة. رحلة بحرية ربما.

هكذا ذهبت «ماري» في رحلة على سفينة «كاليدونيا»، وبعد مرور أسبوع تقريبًا بين أحضان مياه البحر الكاريبي، اختفى الوجه المجهد من مرآة كابينتها. بدت كشابة صغيرة من جديد (حسنًا، ليس أكثر من الثانية

والعشرين على الأرجح، هكذا أخبرت نفسها) وما هو أهم، بدت كفتاة شابة واقعة في الحب.

لم تكن قصة حب عنيفة كالتي جمعتها بـ «ديل بيلتر». كما لم تكن قصة حب معتادة من النوعية التي تحدث تحت أشعة القمر أثناء رحلة بحرية للكاربيبي. كان «سام لوميس» أكبر من «ديل بيلتر» بعشر سنوات كاملة، وكان هادئ الطباع، لكنها أحبته. بدت أول فرصة حقيقية تتاح لها، حتى شرح لها بضعة أشياء. قال لها:

- يمكنك أن تقولي أنني أقوم بتلك الرحلة رغماً عني... هناك متجر لبيع الخردة المعدنية و...

وتدريجياً بدأت تتجمع أجزاء القصة سوياً. هناك متجر لبيع الخردة في بلدة صغيرة تدعى «فريفيل» بالشمال. عمل «سام» هناك مع والده، وهو يتوقع أن يرث المشروع في الوقت المناسب. توفي الأب منذ عام، وهنا أخبره المحاسبون بالأخبار السيئة. صحيح أنّ «سام» ورث المشروع، لكنه ورث معه كذلك بعض الديون التي تبلغ حوالي عشرين ألف دولار!

تم رهن المبنى، الخزين، وحتى بوليصة التأمين تم الحجز عليها.

لم يخبره والده بأي شيء عن استثماراته الصغيرة التي قام بها في الأسواق، ولا أخبره كذلك عن مراهاناته في حلبات السباق، لكنه بعد موته عرف كل شيء. لم يكن أمامه وقتها غير خيار من اثنين: إما أن يشهر إفلاسه، أو أن يحاول تسديد ديونه. وقد اختار «سام لوميس» أن يقوم بالاختيار الثاني. شرح لها:

- فهو مجال عمل جيد.. صحيح أنني لن أجنبي أي ثروة، لكن ببعض الإدارة الجيدة ربما أتمكن من الحصول على ثمانية أو عشرة آلاف كريح في العام. ولو تمكنت من العمل كعامل إنتاج في أحد المصانع جوار هذا، ربما تمكنت من الحصول على ما هو أكثر. تمكنت من تسديد أربعة آلاف دولار من ديوني بالفعل، وغالبًا خلال بضعة أعوام سأكون قد قمت بتسديدها كلها.

- لا أفهم، ما دمت غارقًا بالديون كما تقول، كيف تمكنت من القيام بمثل هذه الرحلة البحرية؟

ابتسم «سام» مجيبًا:

- فزت بها في مسابقة. مسابقة مولتها إحدى شركات تصنيع المعدات.. لم أكن أحاول الظفر برحلة على الإطلاق، وإنما كنت أجاهد لتسديد ديوني. لكنهم أخبروني أنني فزت بالمركز الأول في قسمي. حاولت أن أبدلها بأي جائزة مالية، لكنهم رفضوا، لم يكن أمامي إلا الحصول على الرحلة، أو

الخروج فارغ اليدين. ولأننا بشهر قليل العمل، ولأن المحاسب الذي يعمل لديّ شديد الأمانة وأثق فيه، فقد فكرت في استغلال تلك الرحلة المجانية. هكذا صرت هنا، معك.

ابتسم، ثم تنهد مكملًا:

- لكم تمنيت لو أن هذا شهر العسل الخاص بنا.

- ولماذا لا يكون كذلك يا «سام»؟ أقصد...

لكنه تنهد من جديد وهو يهز رأسه.

- سنضطر للانتظار. ربما يحتاج الأمر لعامين أو ثلاثة قبل أن أتمكن من تسديد كل ما عليّ.

- لا أريد الانتظار! لا أبالي بالمال. أستطيع ترك عملي والعمل في متجرك...

- وتنامين داخل المتجر كما أفعل؟

ابتسم وهو يجيبها، لكن لم يبد عليه السعادة كما لم تبد عليه منذ لحظات وهو يتنهد.

- هذا صحيح. أنا أنام بحجرة صغيرة أعددتها لنفسي بالخلف، وألثمهم الفول المطهو معظم الوقت. يقول رفاقي أنني أكثر بخلًا من صارف البنك.

- لكن ما هو سبب رفضك؟

سألته «ماري»، قبل أن تستطرد:

- أعني، لو أنك قمت بتقليل مصروفاتك بما فيه الكفاية، فلن يحتاج الأمر لأكثر من عام لتسديد كل ديونك. وفي غضون تلك الفترة...

- في غضون تلك الفترة يجب أن أعيش في بلدة «فيرفيل». صحيح أنها بلدة لطيفة، لكنها صغيرة الحجم. وجميع من فيها يعرفون بعضهم البعض. طالما يرونني أمامهم أجاهد لتسديد ديوني، فإنني أحظى باحترامهم. والناس تخرج عن طريقها لكي تأتي لمتجري لشراء لوازمهم، فكلهم يعرفون الموقف وهم يحترمون كوني أبذل قصارى جهدي. كان لوالدي سمعة طيبة، بالرغم مما آلت إليه الأمور. وأريد الحفاظ على تلك السمعة الطيبة من أجلي ومن أجل عملي. ومن أجلنا، بالمستقبل. هذا هو أهم شيء. ألا تفهمين؟

- المستقبل.. تقول عامين أو ثلاثة؟



تنهدت «ماري».

- آسف، لكنني أريدنا أن نتزوج في بيت جيد ونحظى بممتلكات مناسبة. تلك الأشياء تكلف مالا. مال نقدي متوفر، بينما أنا أحاول ملاحظة الموردین طيلة الوقت بالتسديد في أقصى مواعيد ممكنة، وهم يوافقون طالما يثقون في أنني سأقوم بالتسديد في النهاية. ليس هذا سهلاً أو مفرحاً. لكنني أعرف ما أريده، ولن أرضى بما هو أقل.. لهذا يجب أن تصبري قليلاً يا عزيزتي.

لهذا كان يجب أن تصبر. عرفت أنها لن تتمكن من اقناعه ليحيد عن رأيه. وهكذا تجمد الموقف عندما انتهت الرحلة. وبقيت على حالها لأكثر من عام. أخذت «ماري» سيارة لبلدته في الصيف الماضي، ورأت البلدة، والمتجر، ودفت الحسابات الذي أوضح أن «سام» قد قام بتسديد خمسة آلاف دولار إضافية من ديونه. قال لها بفخر:

- لم يعد باقياً إلا أحد عشر ألف دولار. عامين وربما أقل.

عامين!

خلال عامين ستصبح في التاسعة والعشرين من عمرها. لا تستطيع أن تتخلى عنه أو تقوم بفضيحة كما لو كانت فتاة رعناء في العشرين. عرفت بداخلها أنه لن يمر بها رجل كـ «سام لوميس» مرة أخرى. لهذا ابتسمت، أو مات برأسها، وعادت لعملها المعتاد بشركة «لوپيري».

عادت لشركة «لوپيري» لتشهد «لوپيري» العجوز يأخذ نسبة الـ 0% الثابتة الخاصة به عن كل بيعة يقوم بها. رآته يقوم بمراهانات ضخمة، ورأت صفقاته السريعة القاسية للشراء من البائعين اليائسين مستغلاً أزماتهم، ليحصل أرباحاً ضخمة مقابل إعادة بيع بضائعهم!

الناس تشتري طيلة الوقت وتبيع. كل ما يفعله «لوپيري» هو الوقوف بالمنتصف، ليستخلص نسبة من كلا الطرفين، فقط مقابل جمعه للبائع والمشتري سوياً. لم يفعل ما هو أكثر من هذا، فليس الأمر كما لو أنه يقوم بخدمة حقيقية تبرر وجوده. وبالرغم من هذا فهو غني. لن يتطلب منه الأمر عامين من العمل المتعب ليتخلص من دين بأحد عشر ألف دولار. بوسعه جني المبلغ خلال شهرين!

لكم كرهته «ماري»، ولكم كرهت الكثيرين من الباعة والمشتريين الذين يقوم بصفقاته معهم، لأنهم أغنياء كذلك! «تومي كاسيدي» هذا واحد من أسوأهم، يمتلئ بالنقود حد التخمة من البترول، لم يحتج يوماً أن يعمل بيده، لكنه طيلة الوقت يربح من العقارات والمزاديات.. يشتم رائحة الخوف أو الحاجة فيمن أمامه، فيشتري بئس بخس، قبل أن يقوم بالبيع بئس غالي،

كما أن القدر العجوز دوّمًا منتبه ككلاب الصيد لأي احتمالية لاعتصار بضعة دولارات إضافية في الإيجارات أو المبيعات. لم يفكر لأكثر من لحظات في موضوع وضع أربعين ألف دولار في شراء بيت كهديّة زواج ابنته. كما لم يفكر للحظات كذلك وهو يضع ورقة بمائة دولار على مكتب «ماري كرين» منذ ستة شهور، قبل أن يقترح عليها أن تأخذ «أجازة قصيرة» من العمل لتقضّيها معه في «دالاس» وقت العطلة الأسبوعية. تم الأمر في لحظات، وبكل سرعة وتلقائية لدرجة أنها لم يتسنّ لها الوقت لتشعر بالغضب. فبعدها مباشرة دخل السيد «لوپري» المكتب، وانتهى الموقف ببساطة! لم تحاول رفض أي تقرب من جهة «كاسيدي»، سواء في العلن أو في الخفاء، لكنه لم يكرر عرضه ثانية، وهي لم تنسَ ذلك الموقف!

لا تستطيع نسيان الابتسامة اللزجة التي ارتسمت على وجهه البدين العجوز. ولم تنسَ أن عائلة «تومي كاسيدي» هذا تمتلك العالم بأكمله بين أناملها، فهم من يملكون العقارات وهم من يحددون الأسعار.

أربعون ألف دولار كاملة مقابل هدية زفاف لابنته!

ومائة دولار مرمية ببساطة على مكتبها مقابل استئجار جسد «ماري كرين» لثلاثة أيام -لهذا قامت «ماري» بأخذ الأربعين ألف دولار!- فهذه هي طريقة تفكيره!

لقد قامت بأخذ النقود بالفعل، ولا بُدَّ أنها في لا وعيها كانت تحلم أحلام يقظة عن تلك الفرصة لوقت طويل. طويل جدًّا، فالآن، ولأول مرة منذ فترة طويلة للغاية، تبدو الأمور أخيرًا كما لو أنها تسير بشكل جيد، كما لو أنها جزء من خطة تم إعدادها مسبقًا بكل دقة!

هم الآن في عصر الجمعة، ستكون البنوك مغلقة بالغد وهذا يعني أن «لوپري» لن يتمكن من تفقد ما فعلته هي حتى يوم الإثنين، حينما لن تظهر في المكتب! والأفضل من هذا أن «ليلي» قد رحلت مبكرًا بالصباح لتذهب لعملها بمكتب التسجيل في «دالاس»، ولن تعود قبل يوم الإثنين كذلك!

قادت «ماري» السيارة لبيتها مباشرة، وقامت بحزم حقائبها في عجلة! لم تأخذ كل شيء، فقط أخذت أفضل ما لديها من ملابس في حقيبة ومعها بعض الثياب المنزلية. كانت هي وليلي تخفيان ثلاثمائة وستون دولارًا في برطمان قديم، لكنها لم تلمسها. ستصبح «ليلي» في حاجة لكل سنت لتتمكن من البقاء في الشقة بمفردها فيما بعد. تمنّت «ماري» لو أنها تستطيع أن تكتب لأختها رسالة ما، لكنها لم تجرؤ. ستصير الأمور صعبة بما فيه الكفاية على «ليلي» بالأيام المقبلة، ولن تساعد الرسالة قيد أنملة.

ربما تفكر في حل ما لهذا الموضوع فيما بعد. تركت «ماري» الشقة في حوالي الساعة السابعة، وبعد ساعة كانت في طريقها عبر الضواحي، وتناولت عشاؤها، ثم قايضت سيارتها بسيارة مستعملة.. فقدت بعض النقود مقابل هذا، كما فقدت المزيد بالصباح التالي عندما كررت نفس العملية لتأخذ سيارة أخرى في بلدة تبعد أربع مائة ميل بالشمال. قرب الظهر -بعدها قامت بالمقايضة الثانية- وجدت أن ما معها قد تقلص ليصل لثلاثون دولارًا نقدًا، وصارت تركب سيارة منهالكة لا تعرف ما إذا كانت ستكمل معها أم لا! لكنها لم تشتك..

المهم أن تقوم بتبديل سيارتها بأكبر قدر ممكن من المرات، لتخفي أي أثر يمكن أن يستدل به أحدهم في العثور عليها، قيل أن توقف سيارة لتأخذها حتى «فيرفيل». بمجرد وصولها هناك ستستأجر سيارة أخرى تأخذها للشمال أكثر، ربما حتى تصل لـ «سبرينجفيلد»، قيل أن تتبع آخر سيارة هذه، لن تتمكن السلطات من تتبع حركة من تُدعى مدام «سام لوميس»، والتي تعيش ببلدة تبعد مئات الأميال عن هنا؟ فهي تنتوي أن تصير مدام «سام لوميس» في أسرع وقت!

ستتعلق لـ «سام» قصة عن الميراث الذي آل لها. لن تخبره بأمر الأربعون ألف دولار كلها -فهذا سيجعل الأمر مريبًا، وسيحتاج منها لكثير من الشرح- لكنها ربما تخبره أنها ورثت خمسة عشر ألفًا فقط.. وستخبره أن «ليلي» قد تلقت مبلغًا مماثلًا، وتركت وظيفتها سريعًا، قبل أن ترحل لأوروبا. وهذا سيفسر عدم دعوتها لها على زفافهما.

ربما سيتردد «سام» بشأن أخذ النقود، وطبعًا ستكون هناك الكثير من الأسئلة الغريبة التي سيتوجب عليها إجابتها، لكنها ستتمكن من إقناعه. يجب عليها هذا!

سيتزوجان على الفور؛ فهذا هو أهم شيء. وهنا ستحصل على اسمه، لتصير مدام «سام لوميس»، زوجة صاحب متجر خرده في بلدة تبعد ثمان مائة ميل عن وكالة «لوپيري». لم يعرفوا في وكالة «لوپيري» أصلًا بموضوع «سام». طبعًا سيعرفون كيف يصلون لـ «ليلي»، وغالبًا ستخمن أختها ما حدث على الفور. لكن «ليلي» لن تقول أي شيء. لن تفعل حتى تصل لـ «ماري» على الأقل. وعندما يحين هذا الوقت، ستضطر «ماري» وقتها أن تستعد للتعامل مع أختها، وتتمكن من جعلها تبقى صامتة أمام «سام» والسلطات.

لن يكون الأمر صعبًا للغاية فـ «ليلي» تدين لها بالكثير، مقابل كل تلك السنين التي قضتها «ماري» في العمل لتتمكن «ليلي» من إكمال تعليمها. ربما تفكر «ماري» في إعطائها جزءًا من الخمس والعشرين ألف دولار الباقية. ربما لن توافق «ليلي» على أن تأخذ شيئًا. لكن سيكون هناك حل

ما؛ لم تقم «ماري» بإعداد خطة لذلك الجزء بعد، لكن حينما يحل، ستكون قد استعدت! أما الآن فيجب أن تقوم بالأمر خطوة بخطوة، وأول خطوة هي أن تصل لبلدة «فيرفيل». على الخريطة التي معها لا تبعد أكثر من أربعة إينشات. مجرد أربع إينشات من الخطوط الحمراء تفصل ما بين نقطة وأخرى. لكن تطلب الأمر منها ثماني عشرة ساعة من القيادة لتصل لهذا المكان: ثماني عشرة ساعة من الاهتزازات على الطريق، ثماني عشرة ساعة من التحديق عبر زجاج السيارة الأمامي، ومكافحة ضوء الشمس الشديد؛ ثماني عشرة ساعة من الصراع مع الطريق الذي بدا بلا نهاية تمامًا كتعبها وإجهادها الذي بدا أنه لن ينتهي!

وها هي قد فوتت المنعطف الذي كان يجب أن تأخذه، كما أن السماء تمطر؛ لقد حل المساء وقد ضلت طريقها على طريق غريب! تأملت «ماري» مرآة السيارة الخلفية ولمحت عيناها انعكاس باهت لوجهها. شعرها الداكن وملامحها المعتادة كما هما، لكن اختفت ابتسامتها، وقد زمت شفيتها الممتلئتين لتصيرا مجرد خطين رفيعين قاسيين. أين رأت ذلك الوجه الكالنج آخر مرة؟

- في المرآة، بعد وفاة ماما، عندما أصبتي بانهيار عصبي!

وجدت الإجابة ترتمس داخل عقلها!

لقد خدعت نفسها عندما ظلت تعتقد طيلة رحلتها أنها هادئة وتمتلك زمام الأمور، عندما ظلت تخبر نفسها أنها واثقة من خطتها وأن كل شيء سيسير على ما يرام. ظلت تقول لنفسها أنها لا تشعر بأي خوف، ندم، أو ذنب، لكن المرأة الموجودة أمامها لا تكذب. المرأة تحكي الحقيقة بجلاء، وتحاول أن تهمس لها أن تتوقف!

- لا يمكنك أن تظهرني بكل بساطة لترتمي بين ذراعي «سام» بمنظرك هذا الذي يدل على مدى صعوبة رحلتك.. صحيح أن قصتك تقول أنك أردت مفاجأته بالأخبار السعيدة، لكن يجب أن تبدو السعادة على ملامحك على الأقل يا فتاة، صح؟

ما يجب فعله هو قضاء تلك الليلة في مكان ما، وأن تحظى براحة كافية، قبل أن تصل لـ «فيرفيل» بالصباح التالي، منتعشة ومنتبهة. لو أنها قادت السيارة بالاتجاه العكسي ستصل للمكان الذي دخلت فيه المنعطف الخاطئ، ستصل للطريق السريع الرئيسي من جديد. وهناك ربما تجد فندق مناسب. أو مات «ماري» لنفسها، وهي مقاومة الرغبة الملحة بدخلها لإغلاق عينيها، قبل أن تنتصب منتبهة، وهي تسمح جانبي الطريق بعينيها من خلال الظلام والأمطار. وهنا لمحت اللافتة الموجودة على جانب الطريق الذي يقود للمبنى الصغير الذي انتصب وحيدًا.

«فندق- توجد غرف خالية»

لم تكن اللافتة مضاءة، لكن ربما نسوا إشعالها، بالضبط كما نسيت هي إشعال كشافات سيارتها عندما حل الظلام فجأة!

اقتربت «ماري» بسيارتها، وقد لاحظت أن الفندق بكامله مظلم، حتى المكتب الزجاجي الموجود بالأمام والذي ولا بد يقوم بدور مكتب استقبال الفندق.

ربما يكون المكان مغلق؟

أبطأت من سرعة سيارتها وتفريست بالمكان، قبل أن تشعر بإطارات السيارة تمر فوق كابل كهربائي. الآن استطاعت رؤية البيت الموجود على التل الموجود خلف الفندق؛ والذي كانت نوافذه الأمامية مضاءة، وربما كان موظف الاستقبال هناك، ولن يلبث أن ينزل لها خلال لحظات. أطفأت محرك السيارة وانتظرت. سمعت صوت وقع الأمطار الرتيب وشعرت بهسيس الرياح التي أتت من خلفها.

تذكرت الصوت، لأنها أمطرت بنفس الطريقة يوم دفن والدتها، اليوم الذي قاموا بإنزال جسدها فيه في ذلك القبر المستطيل المظلم.

وها هو الظلام قد حل من حولها.

لن تساعدنا النقود التي معها، كما لن يستطيع «سام»، فهي قد أخذت منعطفاً خاطئاً وأدخلت نفسها في طريق غريب. لن يساعدها أحد، لقد حفرت قبرها بنفسها ويجب أن ترقد فيه بإرادتها.

لماذا تفكر بتلك الطريقة؟ ما ينتظرها ليس قبراً! هو مجرد فراش. كانت لا تزال تحاول استجماع شعورها بما حولها عندما خرج ذلك الظل الضخم من بين الظلام وفتح باب سيارتها فجأة!

## الفصل الثالث

- هل تبحثين عن غرفة للمبيت؟

بمجرد أن رأيت «ماري» الرجل البدين وسمعت صوته الناعم المتردد حتى حسمت أمرها. لن تكون هنالك أي متاعب. أومأت برأسها إيجابًا وخرجت من السيارة شاعرة بالم في ساقها المتصلبتين، بينما هي تتبعه لباب مكتب الاستقبال.

فتح باب المكتب، قبل أن يخطو بالداخل ويشعل النور.

- آسف لعدم استجابتي للنداء مبكرًا.. كنت بالبيت، فأمي مريضة.

لم يكن هناك شيء مميز بخصوص المكتب، لكنه بدا مكانيًا دافئًا وجافًا ولامعًا.

ارتجفت «ماري» وهي تتنسم للرجل البدين، الذي انحنى فوق نضد المكتب.

- تكلفة الغرفة الفردية لدينا هي سبعة دولارات، هل تحبين إلقاء نظرة على الغرفة أولًا؟

- ليس هذا ضروريًا.

فتحت حقيبتها سريعًا، لتستخرج منها ورقة بخمسة دولارات، وورقتين من فئة الدولار، قبل أن تضعهم على النضد بينما هو يدفع دفتر التسجيل نحوها ومعه قلم للتوقيع!

للحظة ترددت، قبل أن توقع باسم «جاين ويلسون»، ودونت عنوان في «سان أنطونيو» بولاية «تكساس»، فهي لا تستطيع فعل شيء بخصوص لوحة السيارة التي تشير إلى «تكساس».

- سأحضر حقائبك.

قالها وهو يخرج من خلف النضد. تبعته للخارج من جديد. كانت النقود في درج القفازات، راقدة داخل نفس المظروف البني الكبير الذي يغلقه الشريط المطاطي السميك.

ربما من الأفضل أن تدع المبلغ هناك، فهي ستغلق السيارة، ولن يتمكن أحد من فتحها. حمل الحقيبتين لباب الحجرة المجاورة للمكتب. كانت تلك هي أقرب غرفة، وهو ما أسعدها لكي تتخلص من الأمطار. سمعت صوته يقول:

- يا له من طقس سيئ!

تنحى لها جانبًا لتتمكن من دخول الغرفة، بينما هو يستطرد:

- هل كنتي تقودين السيارة لفترة طويلة؟

- طيلة اليوم!

ضغط على زر فاشتعل مصباح مجاور للفراش لتنبعث منه أربعة خطوط صفراء من الضوء لم تلبث أن انتشرت في أنحاء المكان. كانت غرفة بسيطة لكن مفروشة جيدًا، وقد لاحظت وجود كابينة الاستحمام الموجودة في الحمام الملحق بالغرفة. كانت ستفضل لو كان هناك بانيو عادي، لكن هذا سيؤدي الغرض.

- هل كل شيء على ما يرام؟

أومأت برأسها سريعًا، قبل أن تتذكر شيئًا.

- هل هناك أي مكان قريب أستطيع أن أتناول فيه أي شيء؟

- مممم.. كان هناك مطعم يقدم البيرة والهامبرجر على بعد ثلاثة أميال، لكن أعتقد أنه أغلق بعد إنشاء الطريق الجديد. فرصتك الوحيدة ستكون في «فيرفيل».

- وكم تبعد «فيرفيل» هذه؟

- حوالي سبعة عشر أو ثمانية عشر ميلًا. ستذهبن بطول هذا الطريق حتى تصلين لمفترق الطرق، ثم انحرفي لليمين وادخلي للطريق الرئيسي. ستجدينها على بعد عشرة أميال. أنا متفاجئ لأنك لم تذهبي بذلك الطريق ما دمتي متجهة للشمال.

- لقد فقدت الطريق.

أومأ الرجل البدين وهو يتنهد.

- اعتقدت هذا. فليس من المعتاد أن يمر أحد من هنا بعد إنشاء ذلك الطريق الجديد.

ابتسمت له بشرود، بينما وقف هو في الممر وهو يزيم شفتيه. عندما رفعت عينيها لتتظر في عينية، خفض هو عينيه في حياء وتنحج معتذرًا.

- احم. كنت أفكر يا آنستي أنك ولا بُدَّ متعبة للغاية، ولستي مستعدة للقيادة كل ذلك الطريق حتى «فيرفيل» ثم العودة من جديد في هذه الأمطار. أعني، لقد كنت على وشك إعداد وجبة خفيفة لنفسي بالبيت، وستشرفيني بالانضمام إلي.

- أوه، لا يمكنني فعل هذا.
- لم لا؟ لا يوجد أي إزعاج. أُمي ذهبت لفرانيتها بالفعل ولن تقوم بالطهو. كل ما كنت سأقوم بإعداده هو بعض الشطائر وبعض القهوة. لو كان هذا يناسبك.
- حسناً...
- لا داعي للتردد، سأذهب لإعداد كل شيء سريعاً.
- أشكرك بشدة يا سيد...
- «بيتس».. «نورمان بيتس»!
- تراجع للخلف، وهز كتفه مكماً:
- سأترك لكي النور مضاً لكي تجدي طريقك بسهولة. ربما تفضلين تغيير ملابسك المبللة أولاً
- ثم التفت مبتعداً، لكنها لمحت وجهه المتورد خجلاً.
- ممّ يخجل؟!
- كان هذا هو السؤال الذي طغى على تفكيرها، ولأول مرة منذ عشرين ساعة، مرت ابتسامة بوجه «ماري كرين».
- انتظرت حتى أغلق الباب خلفه قبل أن تخلع معطفها.
- فتحت حقيبة ملابسها المنزلية، وأخرجت منها رداءً تركته معلقاً على أمل أن تختفي التجعيدات التي أصابته بالحقيبة، بينما انطلقت هي لتقوم باستغلال دورة المياه.. لن تفعل ما هو أكثر من غسل وجهها، ووعدت نفسها بحمام طويل ساخن عندما تعود. هذا هو ما تحتاجه فعلاً، الاستحمام، وبعض النوم، لكن يجب أن تظفر ببعض الطعام قبل كل هذا!
- فلنرى، أدوات التجميل الخاصة بها موجودة بحقيبة يدها، ويمكنها ارتداء المعطف الأزرق من حقيبة ملابسها الكبيرة.
- بعد خمس عشرة دقيقة كانت تطرق باب البيت الضخم الذي يعتلي التل. لم يكن هناك أي ضوء باستثناء مصباح صغير ظهر ضوءه من خلال نافذة حجرة المعيشة، لكن سرعان ما ظهر ظل لامع ظهر من الطابق العلوي. لو كانت أمه مريضة فعلاً، فلا بُدَّ أن هذا هو مكانها. ظلت «ماري» واقفة مكانها منتظرة رده، لكن لم يحدث شيء.



ربما يكون بالطابق العلوي هو الآخر. دقت الباب من جديد. بعدها حاولت اختلاس النظرات من خلال نافذة حجرة المعيشة. لم تستطع أن تصدق ما رأيته لأول وهلة؛ لم تصدق أنه لا تزال هناك أماكن مثل هذا في هذا الزمن.

في المعتاد - حتى لو كان البيت قديمًا - أن يقوم سكانه ببعض التغييرات والتحسينات على الديكور الداخلي. لكن حجرة المعيشة التي ظهرت أمامها لم تبد كأنها خضعت لأية تغييرات منذ وقت طويل، فقد اكتست الجدران بورق حائط مغطى بالزهور، بينما انتصبت هنا وهناك منحوتات من خشب الماهوجاني، في حين امتدت سجادة تركية حمراء على الأرض، وقد تنثر الأثاث الفاخر العتيق الطراز في أرجاء الحجرة، أما المدفأة فقد بدت كأنما هي من القرن الماضي. لم يكن هناك حتى جهاز تلفاز لتعكير هذا المشهد، لكنها لاحظت جهاز جرامافون عتيق على منضدة بالركن.

استطاعت تمييز صوت همهمة خافت، وبالبداية فكرت أنه يأتي من بوق الجرامافون؛ قبل أن تستطیع تمييز مصدر الصوت، والذي أتى من أعلى. من الحجرة المضاعة. دقت «ماري» الباب ثانية، مستخدمة مؤخرة المصباح. هذه المرة تمكنت من جعل ساكني البيت يلاحظا وجودها، لأن الأصوات خفت فجأة، وسمعت صوت خطوات مكتومة، وبعد لحظة لمحت السيد «بيتس» وهو ينزل درجات السلم. وصل للباب وفتحه، وهو يشير لها بالدخول. قال لها:

- آسف للغاية. كنت أقوم بوضع أمني بالفراش.. أحيانًا ما تكون عصبية.

- قلت أنها مريضة.. لا أريد إزعاجها.

- أوه، لا تقلقي، فلن يكون هناك أي إزعاج لها. لا بُدَّ أنها نائمة كالأطفال الآن.

التفت السيد «بيتس» مع آخر كلماته نحو السلم الذي يقود للدور العلوي، قبل أن يخفض صوته مستطرًا:

- في الواقع، هي ليست مريضة تمامًا.. ليس جسديًا على الأقل.. لكن أحيانًا ما تتأهب تلك النوبات.

أومأ برأسه، ثم ابتسم مكملاً:

- أعطيني معطفك لأعلقه.. هاك.. والآن اتبعيني.

تبعته عبر طريقة امتدت أسفل السلم. سمعته يغمغم:

- أتمنى ألا يكون لديكي مانع في تناول الطعام بالمطبخ. كل شيء معد هناك. اجلسي وسأصب لنا القهوة.

كان المطبخ مكملاً لحجرة المعيشة، بسقفه العالي، ومصايحه الزجاجية العتيقة، التي تعلو الحوض القديم ذو الحنفية المعدنية اليدوية، بينما انتصب موقد خشبي قديم الطراز في الركن. لكنه أصدر دفناً محبباً، وبمنتصف المطبخ، كانت المنضدة الخشبية التي حملت مفرشاً منقوشاً بالأحمر والأبيض، وقد تراصت فوقها أطباقٌ زجاجية اصطففت فوقها قطع السجق والجبن والمخللات المنزلية الصنع.. لم تستطع «ماري» مقاومة الابتسام لغرابة كل ما حولها، حتى منظر قطعة الكروشيه المنقوشة والمعلقة على الجدار -والمكتوب عليها: فليحفظ الرب بيتنا - كل هذا بدا غريباً عليها بطريقة طريفة، لكنه على أية حال أفضل كثيراً من البقاء وحيدة في كافيتريا هزيلة في بلدة معزولة صغيرة. ملأ لها السيد «بيتس» طبقها.

- تفضلي، لا تحتاجي دعوة فلا بُدَّ أنك جائعة للغاية.

كانت جائعة فعلاً، وقد التهمت الكثير من الطعام، لدرجة أنها لم تكد تلاحظ قلة ما أكله رفيقها. وعندما لاحظت هذا شعرت ببعض الإحراج.

- لكنك لم تلمس طعامك! أراهنك أنك تناولت عشاءك بوقت مبكر بالفعل، صح؟

- لا لم أفعل. الموضوع هو أنني لست جائعاً للغاية.

أعاد مِلء كوبها ببعض القهوة، وهو يستطرد:

- المشكلة أنني أتشاجر مع أمي كثيراً.

انخفض صوته من جديد، وعادت النبرة المعتذرة تغزوه.

- أعتقد أنها غلطتي، فلست شديد البراعة في الاعتناء بها.

- أنتما تعيشان هنا بمفردكما؟

- نعم، لم يكن هناك شخص آخر معنا، أبداً!

- لا بُدَّ أن الأمر صعب عليك.

- لست أشكو فلا تسيئي فهمي..

عدل من وضع عويناته وهو يكمل:

- لقد رحل أبي عندما كنت لا أزال رضيعاً، وقد قامت أمي بالاعتناء بي بالكامل بمفردها. كانت قد ورثت بعض المال من عائلتها، وكان مبلغاً كافياً لتعتمد عليه -أعتقد- حتى كبرت. ثم قامت أمي برهن البيت، بيع المزرعة، وبناء هذا الفندق. كنا نديره سوياً، وكانت الأمور تسير بشكل جيد حتى تم

بناء ذلك الطريق السريع الجديد ليهدم كل شيء. لكن لأقول الحقيقة، كانت صحتها تسوء من قبل ظهور الطريق، وقد حل دوري للاعتناء بها. لكن أحيانًا تكون الأمور صعبة.

- أليس لديكما أي أقارب؟

- على الإطلاق.

- ولم تتزوج؟

احمر وجهه ونظر لأسفل نحو المفروش القماشى المزركش. عضت «ماري» شفيتها معذرة:

- آسفة، لم أقصد أن أسأل أسئلة شخصية.

- لا بأس.

كان صوته خافتًا باهتًا.

- لم أتزوج أبدًا، فقد كانت طباع ماما صعبة أحيانًا بخصوص تلك الأمور. ل.. لم أجلس حتى مع فتاة كما أجلس معك هكذا أبدًا!

- لكن...

- أعرف أن الأمر يبدو غريبًا، صح؟ في مثل هذا العصر وفي مثل سني. أعرف، لكن كان يجب أن يحدث هذا. كنت أخبر نفسي أنها ستنتهي من دوني، لكن الحقيقة هي أنه ربما أنا من سينتهي من دونها!

أنهت «ماري» قهوتها، وفتشت حقيبة يدها بحثًا عن سيجارة، وعرضت واحدة على السيد «بيتس».

- لا، شكرًا، أنا لا أدخن.

- أتمنع لو قمت أنا بالتدخين؟

- على الإطلاق، تفضلي.

بدا عليه التردد قبل أن يقول:

- كنت أرغب في تقديم بعض الشراب لكى، لكن المشكلة أن أمي لا تحبذ الاحتفاظ بالمشروبات الكحولية بالبيت.

تراجعت «ماري» للوراء وهي تأخذ نفسها، وقد شعرت بنفسها فجأة وقد صارت أقوى.. كم هو غريب مفعول بعض الدفء، وبعض الراحة، وبعض

الطعام على المرء.

منذ ساعة كانت وحيدة متوترة وغير مدركة لما حولها. أما الآن فقد اختلف كل شيء. ربما كان الاستماع إلى السيد «بيتس» هو ما رفع من حالتها المزاجية بتلك الدرجة. فقد كان هو الوحيد المتوتر المرعوب. بينما على العكس شعرت هي أنها صارت بطول سبعة أقدام. وكان هذا الشعور هو ما دفعها لأن تقول:

- ليس مسموًا لك بالتدخين، ولا بالشراب، ولا برؤية الفتيات. ماذا تفعل إذن بجانب إدارة شؤون هذا الفندق والاعتناء بوالدتك؟

يبدو أنه لم يدرك ماهية نبرة صوتها.

- أوه، لدي الكثير من الأشياء التي أفعّلها حقًا. أقرأ كثيرًا. وهناك بعض الهوايات الأخرى التي أمارسها.

نظر لأعلى نحو رف ملصق بالجدار وتتبعته هي نظراته، لتجد سنجابًا محنطًا يبادلها النظرات من أعلى!

- تصطاد؟

- حسنًا، ليس بالضبط. فقط أقوم بالتحنيط. لقد أعطاني «جورج بلونت» هذا السنجاب لأقوم بتحنيطه، بعدما قام هو بصيده. لا تحب أمي أن أتعامل مع الأسلحة النارية.

- سيد «بيتس»، اغفر لي وقاحتي فيما سأقوله، لكن حتى متى تنتوي أن تعيش بتلك الطريقة؟ أنت رجل بالغ! أنت بالتأكيد تدرك أنك لا يجب أن تتصرف كصبي صغير لبقية حياتك. لا أقصد أن أكون فظة لكن...

- أفهم مقصدك.. أنا مدرك لأبعاد الموقف. كما أخبرتك، كنت أقرأ كثيرًا. أعرف ما يقوله الأطباء النفسيين عن مثل هذه الحالات. لكن لديّ واجب تجاه أمي!

- ألم تفكر في أن تقوم بهذا الواجب عن طريق - ربما - وضعها في مصحة لكبار السن؟

- أمي ليست مجنونة!

لم يعد صوته خائفًا مترددًا بعد الآن، وإنما صار عاليًا يمتلئ بالغضب!

نهض الرجل الضخم الجسد، بينما يده تتجه نحو أحد الأكواب الموجودة على المنضدة لتضربه ليسقط أرضًا، فيتحطم أشلاءً، لكن «ماري» لم تنظر نحو

الكوب المحطم؛ فلم تكن تقدر على رفع عينيها من على وجه الممتلئ  
بالغضب!

- ليست مجنونة!

كرر كلماته..

- ليس مهمًا ما تظنينه أنت، ولا ما يفكر فيه أي شخص! ليس مهمًا ما تقوله  
الكتب، أو ما يقوله أولئك الأطباء في المستشفى.. أعرف كل ما يتم قوله.  
سيقومون بالموافقة على إدخالها سريعًا، ليحبسوها بمجرد أن أطلب منهم.  
لكنني لن أفعل، لأنني أعرف الحقيقة. ألا تفهمين؟ أنا أفهم، وهم لا يفهمون.  
لا يفهمون كيف اعتنت بي طيلة تلك السنوات عندما لم يكن هناك من يهتم  
لأمري، كيف عملت من أجلي وعانت بسببي، لا يفهمون كم ضحت من  
أجلي. لو أنها غريبة الأطوار قليلًا الآن، فهي غلطتي، أنا المسؤول! عندما  
أتت لي ذات مرة لتخبرني كم ترغب في الزواج مرة أخرى، كنت أنا من  
منعتها! نعم، أنا، أنا المسؤول عن عدم زواجها ثانية! لا داعي لتخبريني عن  
غيرتها الزائدة، أو حب التملك المبالغ فيه منها - أنا أسوأ مما يمكنها أن  
تكون.. أكثر جنونًا منها بعشر مرات على الأقل، لو أن كلمة «جنون» هذه  
هي الكلمة التي تفضلين استعمالها. لا بُدَّ أنهم كانوا سيتجزونني في ثواني  
لو أنهم فقط عرفوا الأشياء التي فعلتها وقلتها، لكنني تخطيت كل هذا  
بالنهاية، بينما هي لم تتخط أيا من هذا! لكن من أنت لتحكمني على شخص  
آخر بدخول مصحة! أعتقد أننا كلنا نحن في لحظة ما!

توقف عن الحديث، ليس لأن كلامه نفذ وإنما لأن أنفاسه نفذت. صار وجهه  
شديد الحمرة، وقد بدأت شفاته ترتجفان. وقفت «ماري» معذرة بنعومة:

- أنا.. أنا آسفة جدًا.. حقًا.. أريد أن أعتذر لك. لم يكن لدي الحق في قول  
أي مما قلته.

- أعرف.. لكن لا يهم.. الموضوع أنني لم تتح لي الفرصة للحديث عن تلك  
الأشياء.. يعيش المرء بمفرده فيعتاد على كتمان كل شيء داخله. يعتاد على  
كون كل شيء ينحشي داخله، بالضبط كذلك السنجاب الموجود بالأعلى!

بدأت بشرته تعود للونها الطبيعي، وحاول الابتسام.

- يا له من رفيق صغير جميل، صح؟ تمنيت لو أنّ لدي واحدًا حيًا لأقوم  
بتربيته كحيوان أليف.

التقطت «ماري» حقيبتها.

- يجب أن أذهب للنوم، فقد تأخر الوقت.

- أرجوكي لا ترحلي.. آسف على ما قلته.

- لم يكن بسبب هذا، لكنني متعبة فعلاً.

- لكنني تخيلت أننا سنقضي بعض الوقت في الحديث. كنت سأحكي لك عن هواياتي. لدي ما يشبه الورشة تحت القبو.

- كنت سأحب هذا، لكنني يجب أن أحظى ببعض الراحة.

- حسناً إذن.. سأقوم بتوصيلك. أعتقد أنني سأغلق المكتب، فلا يبدو أنه سيأتي أي زوار آخرين تلك الليلة.

عبرا الردهة، ثم قام بإعطائها معطفها، وقد بدا متردداً متلجلجاً وهو يفعلها، وللحظة شعرت بنفور منه، ثم أدركت سببه. كان خائفاً من لمسها!

هذا هو السبب.. المسكين يخشى أن يكون قرب امرأة!

حمل الكشاف وتبعته هي خارجة من البيت وعبرا الممر الضيق الذي يدور حول الفندق. كانت الأمطار قد توقفت، لكن لا يزال الظلام يخيم على المكان دون أية نجوم تعكّر صفوه.

بينما هي تدور حول ركن البناية نظرت للخلف نحو البيت، لتنتبه لكون أنوار الطابق العلوي لا تزال مضاءة، وتساءلت في سرها عما إذا كانت المرأة العجوز لا تزال مستيقظة واستمعت لكل الحديث الذي دار بينهما، ومن ضمنه صرخات «نورمان بيتس» الأخيرة!

انحنى السيد «بيتس» أمام باب غرفتها، وانتظر حتى أدخلت المفتاح في القفل وفتحت الباب. حياها قائلاً:

- تصبحين على خير.. أحلاماً سعيدة.

- وأنت كذلك، وشكراً لك على كل ما فعلته لي.

فتح فمه، ثم التفت مبتعداً. وللمرة الثالثة تلك الليلة انتبهت لاحمرار وجهه، ثم أغلقت الباب بالمفتاح. كان لا يزال بوسعها أن تسمع صوت خطواته بالخارج وهي تبعد، ثم صوت المفتاح بينما هو يدور داخل قفله، قبل أن يدخل الرجل للمكتب المجاور.

لم تسمعه عند رحيله من المكتب؛ فقد اجتذب إفراغ متاعها كل انتباهها على الفور. أخرجت بيجاماتها، خفيها، وعبوة كريم المساء، وفرشاة أسنان، ومعجون الأسنان. ثم بحثت في حقيبتها عن الفستان الذي انتوت ارتدائه بالغد، عندما تقابل «سام». يجب أن تخرج الثوب من حقيبتها لكي تقوم بفردة، لتختفي أي تجاعيد به. يجب أن يكون كل شيء مُعداً قبل الغد. كل

شيء! لم تعد تشعر نفسها بشديدة الثقة من نفسها الآن. هل كان التغيير مفاجئًا لتلك الدرجة؟ هل بدأ عندما صار السيد «بيتس» هيسستيريًا بداخل البيت؟ ما الذي قاله وأشعرها بكل هذا الضعف؟ غالبًا هي جملة «أعتقد أننا كلنا نحن في لحظة ما!».

أفرغت «ماري» مكانًا على الفراش وجلست.

نعم، كلامه صحيح. كلنا نحن في لحظة ما. بالضبط كما أصيبت هي بالجنون عصر البارحة عندما رأت النقود على المكتب. وبقيت على جنونها منذ تلك اللحظة، لا بُدَّ أنها كانت مجنونة لظنها أنها يمكن أن تفلت بفعلتها.. مجرد حلم.. حلم جنوني.. أدركت هذا الآن. ربما تتمكن من الإفلات من الشرطة، لكن «سام» سيسألها الكثير من الأسئلة.

على سبيل المثال: من كان هذا القريب الذي ورثت عنه كل ذلك المال؟ وأين كان يعيش؟ ولماذا لم تخبره عنه من قبل؟

كيف تمكنت من إحضار المال كله نقدًا؟ ألم يعترض السيد «لويري» على تركها لعملها فجأة هكذا؟ وهناك موضوع «ليلي» كذلك!

فلنفترض أنها تصرفت كما تتوقع «ماري» منها، وأتت لها دون الذهاب للشرطة، وربما توافق على البقاء صامتة بالمستقبل لأسباب تتعلق بالشعور بالعرفان لتضحيات «ماري» السابقة، لكن ستظل حقيقة معرفتها لقدم «ماري» هنا قائمة، وستكون هناك عواقب لهذا!

فعاجلًا أو آجلًا سيرغب «سام» في زيارتها أو دعوتها لبيتها. ولن ينجح هذا أبدًا! لن تتمكن من الحفاظ على علاقة جيدة بالمستقبل بأختها؛ ولن تتمكن من أن تشرح لـ «سام» لماذا، ولماذا لن تعود لـ «تكساس» ولو حتى لزيارة سريعة. لا، الأمر كله كان جنونيًا!

وقد تأخر الوقت لفعل أي شيء لإصلاح الأمور. صح؟

أم أنها تستطيع أن تصلحها؟

فلنفترض أنها حظيت ببعض النوم العميق، لعشر ساعات متواصلة مثلاً. اليوم التالي هو الأحد؛ لو رحلت عن هنا في الساعة التاسعة وقادت السيارة مباشرة ستتمكن من العودة إلى بلدها صباح الإثنين بوقت مبكر، قبل وصول «ليلي» من «دالاس»، وقبل أن يفتح البنك أبوابه! ستقوم بإيداع النقود بالحساب، ثم تذهب للعمل بعد هذا. صحيح أنها ستكون في أشد حالات الإنهاك، لكن بعض الإرهاق لن يقتلها، ولن يعرف أحد بما حدث.. هناك موضوع السيارة طبعًا. وهو ما سيتطلب بعض الشرح لـ «ليلي». ربما يمكنها أن تخبرها أنها رغبت في الذهاب لـ «فيرفيل»، لمفاجأة «سام» في عطلة

الأسبوع، لكن السيارة تعطلت واضطرت لطلب من يقطرها، وقد أخبرها الرجل أنها ستضطر لتترك محرك جديد، هكذا قررت التخلص منها، وأخذت تلك السيارة العتيقة بدلًا منها والعودة للبيت. نعم. سيكون هذا ممتعًا. وطبعًا عندما قامت بحساب المصروفات التي قامت بها وجدت أن تلك الرحلة قد كلفتها حوالي سبعمائة دولار. لكن سبعمائة دولار ليست ثمنًا كبيرًا يدفعه المرء مقابل الشعور بالأمان.. الأمان والمستقبل!

وقفت «ماري» وقد قررت فعلها. وبمجرد أن فعلت حتى شعرت بأنها قد استعادت ثقتها بنفسها من جديد. الأمر بتلك البساطة. لو أنها كانت فتاة متدينة، لكانت قد قامت بالصلاة. لكنها لم تكن، ولهذا فقد شعرت بشعور غريب من -ماذا كانت الكلمة التي تصف ما يدور؟- الحتمية يحل فوقها.

كما لو أن كل شيء حدث - بطريقة ما- كان مقدّرًا للحدث. انعطافها في المنعطف الخاطئ، والوصول لهذا، ومقابلة ذلك الرجل المثير للشفقة، والاستماع لانفجار أعصابه، وسماع تلك الجملة الأخيرة التي أعادتها لعقلها! للحظة فكرت في الذهاب له وتقيله، ثم أدركت ضاحكة أن رد فعله سيكون جديدًا بالمشاهدة. غالبًا سيصاب المسكين بالاغماء! ضحكت من جديد. من الممتع أن تشعر بأنها قد عادت لثقتها السابقة بنفسها.. قررت أن تكافئ نفسها على تفكيرها هذا بأن تأخذ حمامًا ممتعًا طويلًا ساخنًا، لتتخلص من كل القذارات التي تراكمت على جسدها، بالضبط كما قامت بالتخلص من القذارات التي دارت داخل عقلها!

خطت داخل الحمام، وهي تخلع حذائها، ووراءه جواربها. رفعت ذراعها، وسحبت رداءها من فوق رأسها، قبل أن تلقيه في الحجرة المجاورة. وقع عن الفراش، لكنها لم تهتم. فكت مشد الصدر، ثم شدته كأنه قوس، قبل أن تدعه يفلت من بين أصابعها، ثم حان دور رداءها الداخلي. وقفت للحظة أمام المرأة الملتصقة بالباب وتاملت جسدها. ربما كان الوجه ينتمي لفتاة في السابعة والعشرين من عمرها، لكن الجسد بدا أصغر سنًا، أبيض، كأنه جسد فتاة في الواحدة والعشرين. كانت تتمتع بجسد ممشوق. جسد جدير بالحسد! سيحب «سام» جسدها. تمنى لو أنه هنا معها..

سيكون صعبًا أن تضطر للانتظار لعامين آخرين. لكن عندما يحدث، ستقوم بتعويض كل هذا الوقت الضائع. يقولون أن المرأة لا تنضج جنسيًا بالكامل حتى تبلغ الثلاثين. ستكتشف هذا بنفسها. ضحكت «ماري» من جديد، ثم ألقى بقيلة نحو انعكاسها وتلقت واحدة بالمقابل. بعد هذا خطت داخل كابينة الاستحمام. كانت المياه ساخنة، فاضطرت أن تفتح صنوبر المياه الباردة لتعادلها. بعد هذا فتحت كلا الصنوبرين بأقصى قوة، لتدع أمواج المياه الدافئة تغمرها. شعرت بهدير المياه يصم الآذان، بينما بدأت درجة حرارة الغرفة



تزداد، لهذا لم تسمع صوت الباب وهو يفتح، ولا لاحظت صوت الخطوات.  
وبالبداية، عندما انفتحت ستائر الكابينة، تكفل البخار المتراكم بتغطية الوجه  
عنها. ثم رأته!

مجرد وجهه يختلس النظرات من بين الستائر، ويتدلى وسط الهواء كأنه قناع،  
وقد التفَّ وشاح حول الشعر، بينما أخذت العينين الزجاجيتين تتأملانها  
بنظرات وحشية.

لم يكن قناعًا. لا يمكنه أن يكون كذلك. غطت البشرة بعض البودرة، بينما  
لطخت كل وجنة بقعة من الروج الأحمر. لم يكن قناعًا!  
كان وجع امرأة عجوز مجنونة!

بدأت «ماري» تصرخ، وهنا انفتحت الستائر أكثر وظهرت يدها، التي تألق  
عند قبضتها سكين ضخم! سكين لم يلبث أن قطع صرخات «ماري» خلال  
ثواني، كما قطع رأسها!

## الفصل الرابع

بمجرد أن دخل «نورمان» للمكتب حتى بدأ يرتجف. كان هذا رد فعله لكل ما حدث، فما حدث كان كثيرًا بما يكفي بالنسبة لجهازه العصبي، وقد حدث كل شيء بسرعة كذلك. لم يستطع تحمل كل هذا الفيض من الأحداث. يجب أن يشرب شيئًا ما ليهدئ أعصابه. لقد كذب على تلك الفتاة طبعًا. صحيح أن أمه ترفض وجود المشروبات الكحولية في البيت، لكن هذا لم يمنعه من الشرب في الخفاء. كان يحتفظ بزجاجة الخمر هنا بالمكتب. فهناك أوقات يجد نفسه فيها في أمس الحاجة للشرب، حتى وهو يعرف أن معدته لا تتحمل، وحتى لو كانت كمية بسيطة من تلك المشروبات كافية لتصيبه بالدوار، وربما تجعله يفقد وعيه، فهناك أوقات يرغب ان يفقد فيها وعيه!

تذكر «نورمان» أن ينزل ستائر المكتب المعدنية، وأن يطفئ الالافته الموجودة بالخارج.

هاك، ها هو قد أطفأها..

ستظل مطفأة طيلة الليل..

لن يلاحظ أحد ضوء المصباح الخافت الموجود على المكتب بينما تلك الستائر منزلة. لن ينظر أحد للداخل ليراه وهو يفتح درج المكتب ويخرج منه تلك الزجاجة، بينما يداه ترتجفان كأيدي الرضع. رضيع يحتاج زجاجته! آمال طرف الزجاجة ثم بدأ يشرب وقد أغلق عينيه. شعر بالويسكي تنزل فتحرق كل ما تلمسه، وهو ما كان شعورًا جيدًا. فلتحرق ما بداخله من مرارة. شعر بالدفء يزحف نازلاً حلقة، ليتفجر داخل معدته!

ربما لو أخذ رشفة أخرى ستكون كافية لتزيل مذاق الخوف المتصاعد بداخله؟

كان من الخطأ دعوة تلك الفتاة لدخول البيت.

عرف «نورمان» بهذا منذ اللحظة التي فتح فيها فمه، لكنها كانت شديدة الفتنة، وبدت شديدة الإرهاق والبؤس.

وهو كان يعرف جيدًا معنى أن يكون المرء مرهقًا وبائسًا، من دون أحد تلجأ إليه، ولا أحد ليفهمك. كل ما رغب في فعله هو أن يتحدث معها. بالإضافة لهذا، فهو بيته، أليس كذلك؟ بالضبط كما هو بيت أمه. ليس لديها الحق في وضع القوانين كما تفعل. لكن بالرغم من هذا، فلا زال ما فعله خطأ. في الواقع لم يكن ليجرؤ على فعلها لو لم يكن متشاجرًا مع والدته. رغب في

هزيمتها. وكان هذا خطأ. لكنه فعل ما هو أسوأ بعدما قام بالتبسط أكثر من اللازم معها، عندما عاد للبيت وأخبر أمه أنه أحضر رفقة!

صعد لجرة نومها وأعلن هذا، وكأنه يقول لها:

- أتحدّكي أن تفعلني شيئاً بصدد هذا!

كان هذا خطأ منه، فهي قصيرة الفتيل من الأصل اليوم، وعندما أخبرها عن الفتاة التي ستتناول معه العشاء جنت تمامًا! قالت الكثير وفعلت الكثير.

أخذت تصرخ:

- لو احضرتها هنا سأقتلها! سأقتل تلك الساقطة!

ساقطة؟ لم تكن تلك هي لهجة أمه المعتادة في الحديث، لكنها قالتها هذه المرة. كانت مريضة. مريضة للغاية. ربما كانت الفتاة محقة. ربما يجب أن يتم وضع أمه في مصحة. لم يعد قادرًا على التعامل معها أكثر من هذا. لم يعد قادرًا على تحمل نفسه حتى!

ماذ كانت أمه لتقول عن طريقته في التعامل مع الأمور؟

كانت تقول أنها خطيئة، وربما يحترق بالجحيم جزاءً له!

شعر بالويسكي يحرقه. وصل للكأس الثالث، لكنه كان يحتاجه!

يحتاج للكثير من الأشياء. كانت الفتاة محقة بصدد هذا كذلك. ليست هذه طريقة للحياة. لا يستطيع التحمل أكثر من ذلك. مجرد أن يمر عشاءهما سويًا على خير بدا كتحدّي، فقد خشي أن تقوم أمه بفضيحة! بعد أن أغلق باب غرفة نومها بالمفتاح وتركها بمفردها ظل يتساءل ما إذا قررت أن تبدأ في الصراخ، لكنها بقيت هادئة، هادئة أكثر من اللازم ربما، كما لو أنها تتصنت!

ربما كان هذا ما فعلته فعلاً. ربما يكون بوسعه حبس أمه، لكن لا يمكنه منعها من التصنت. تمنى «نورمان» لو أنها بالغد ربما تنسى كل ما حدث. هذا ما يحدث في المعتاد. وربما - يحدث هذا أحيانًا كذلك - تنسى المواقف لشهور طويلة، قبل أن تتذكرها فجأة - كأمطار تتساقط من سماء صافية - وتتشاجر معه بسببها.

«سواء صافية!» أخذ يضحك على تلك العبارة. لا وجود لسواء صافية بحياته! كل ما هو موجود غيوم وسحب ممطرة، كما حدث الليلة!

ثم سمع الصوت، فتحرك بسرعة في مجلسه. هل أمه قادمة؟

لا، مستحيل، فقد قمت بحبسها، ألا تتذكر؟ لا بُدَّ أنها تلك الفتاة القاطنة بالحجرة المجاورة. نعم، بوسعه سماع صوتها الآن - تفتح حقيبتها على ما يبدو، وتخرج منها حاجياتها، لتستعد للنوم. أخذ «نورمان» رشفة أخرى، لتهدئة أعصابه الثائرة. وهذه المرة نجح الموضوع. لم تعد يده ترتجف. لم يعد خائفًا. لن يصبح خائفًا لو استمر في توجيه أفكاره نحو تلك الفتاة. لكن الغريب هو ذلك الشعور الذي راوده وهو معها، وهو نفس الشعور الذي راوده عندما يجتمع بامرأة.. ما الكلمة المناسبة لوصف ذلك الشعور.. عدم أهميته ربما؟ أم أنه عدم قدرته على إثارة إعجابها!

ليس هذا صحيحًا كذلك. يعرف الكلمة التي يقصدها، فقد قرأها لمئات المرات في الكتب، الكتب التي لا تعرف أمه بأنه يملكها من الأصل. حسنا، لا يهم. عندما كان مع تلك الفتاة شعر بهذا، لكن ليس الآن. الآن يستطيع فعل أي شيء. وهناك الكثير من الأشياء التي رغب في فعلها مع فتاة مثلها. صغيرة، جميلة، وذكية كذلك. كان غيبًا عندما أجابها عندما تحدثت عن أمه؛ الآن يعترف أن ما قالته هو عين الحقيقة! عرفت الحقيقة، واستطاعت أن تفهم ما يدور بداخله.. تمنى لو أنها تبقى معه للحديث لفترة أطول.

أما الآن، فعلى الأرجح لن يراها ثانية. ستكون قد ذهبت بالغد. ذهبت للأبد.

«جين ويلسون»، من «سان أنطونيو بولاية تكساس»!

تساءل في داخله عن وجهتها، وعن حقيقة شخصيتها، في أعماق أعماقها.

فتاة مثلها قادرة على جعله يقع في الحب بكل بساطة، حتى وهو لم يرها إلا مرة واحدة. لا يمزح، لكنها ستعتبره يمزح لو أخبرها بهذا غالبًا. هذه هي الطريقة التي تتصرف بها الفتيات. دائمًا يضحكن. لأن كلهن عاهرات!

كانت أمه محقة. كلهن عاهرات!

لكن لا يمكن للمرء التحكم في مشاعره، ليس عندما تكون العاهرة جذابة كتلك الفتاة التي كانت تجالسه، وخصوصًا عندما تعرف جيدًا بداخلك أنك لن تراها ثانية! يجب أن تراها ثانية. لو أنك رجل حقًا لكنت أخبرتها عندما كنت داخل غرفتها. لكنت أخرجت زجاجة الخمر وشربت معها بعضه، ثم لكنت حملتها حتى فراشها و... لا! لن تفعل.. ليس أنت.. لأنك عقيم. تلك هي الكلمة التي لم تستطع تذكرها، صح؟

عقيم!

تلك هي الكلمة التي ذكرت بالكتب، ونفس الكلمة التي استخدمتها أمك، وهي الكلمة التي تعني أنك لن تراها ثانية لأن هذا ليس منه جدوى. الكلمة التي تعرفها كل العاهرات؛ لا بُدَّ أنهن تعرفنها، ولهذا كلهن تضحكن. أخذ

«نورمان» رشفة أخرى، مجرد رشفة. شعر بالسائل وهو ينحدر على جانب ذقنه. لا يُبدُّ أنه ثمل بشدة الآن. حسناً، لقد ثمل، فماذا يهم؟ طالما أمه لا تعرف. طالما الفتاة لا تعرف. سيكون هذا سره الصغير.

عقيم! أهو فعلاً كذلك؟

حسناً، هذا لا يعني أنه لن يستطع رؤيتها ثانية.. سيراهها، حالاً!

انحنى «نورمان» على مكتبه، حتى كاد رأسه يلمس الجدار. سمع المزيد من الأصوات. ومن خبرته الطويلة صار يعرف كيف يميزها. لقد خلعت الفتاة حذاءها. والآن ستدخل لتأخذ حماماً.

مد يده للأمام ليجدها ترتجف من جديد، لكن دون خوف هذه المرة. كان شعوره هذه المرة هو الترقب؛ فقد عرف ما سيفعله. سيقوم بإزاحة رخصة الفندق المعلقة على الجدار قليلاً ليتمكن من اختلاس النظر عبر الفتحة الصغيرة التي صنعها بالجدار منذ فترة طويلة. لا أحد آخر يعرف بأمر تلك الفتحة الصغيرة، ولا حتى والدته! خصوصاً والدته. كان هذا سره. الفتحة تتصل من الجهة الأخرى بشرخ بسيط في البلاط الذي يغطي الجدار، لكنه شرخ كافي لكي ينظر «نورمان» عبره! يستطيع رؤية ما يدور بداخل دورة المياه الملحقة بالحجرة المجاورة..

أحياناً كان يرى شخصاً يقف أمام الفتحة مباشرةً، وأحياناً أخرى كان يرى انعكاسهم على مرآة الباب الموجودة خلفهم، على أية حال، كان يرى الكثير! فلتضحك أولئك العاهرات عليه كما يحببن، لكن هذا لا يمنع كونه يعرف عنهن أكثر مما يتخيلن.. كان من الصعب على «نورمان» تركيز نظراته.. شعر بالسخونة والدوار. جزء من شعوره يعود لما شربه، والجزء الآخر يعود لشعوره بالإثارة، لكن معظم ذلك الشعور بسببها!

هي داخل الحمام الآن، تقف هناك في مواجهة الحائط. لكنها لن تلاحظ الشرخ الموجود بالسيراميك. لم يلحظه أحد من قبل.

كانت الفتاة تقف مبتسمة، وهي تفك خصلات شعرها. مالت بجسدها، لتخلع جوربيها. وبينما هي تعتدل، نعم، ستفعلها، ها هو ثوبها يخرج من رأسها، بوسعه أن يرى مشد الصدر وردائها الداخلي، لن تتوقف الآن، فليتمنى ألا تلتفت للخلف. لكنها فعلت، وكان «نورمان» على وشك أن يصرخ فيها: «عودي هنا أيتها العاهرة!» لكنه تمكن من إمساك نفسه في الوقت المناسب، وهنا لمحها تفك مشبك مشد الصدر في مرآة الباب.

لكن المشكلة أن مرآة الباب كانت مليئة بالخطوط واللمعان لدرجة جعلت دواره يزيد، وصار من الصعب تمييز أي شيء حتى انتحت جانباً. وصار

بوسعه رؤيتها.. الآن ستنزع المشد، ها هي تنزعه، وسيصبح بوسعه رؤية كل شيء، كانت تقف أمام المرأة، وتكاد تكون تومئ له! هل كانت تعرف؟ هل كانت تعرف طيلة الوقت بأمر تلك الفتحة الموجودة بالجدار، وكانت تعرف أنه يراقبها؟

هل كانت تريد أن يراقبها، هل كانت تفعل هذا قاصدة، تلك العاهرة؟ كانت تتأرجح أمامًا وخلفًا، أمامًا وخلفًا، والآن صارت المرأة متموجة ثانية وهي كذلك صارت متموجة، ولم يعد بوسعه احتمال هذا. رغب في أن يطرق الجدار، وأن يصرخ فيها أن تتوقف لأن هذا تصرف شرير منحل، ويجب أن تتوقف عن هذا قبل أن يصبح هو الآخر شريرًا ومنحلًا!

هذا هو ما تفعله بك العاهرات، يخرجون ما بداخلك من شياطين، وهي كانت عاهرة، كلهن كذلك، أمه والتي اختفت فجأة، ولم يعد يسمع إلا صوت الهدير.. تصاعد الصوت من حوله بشكل غير محتمل.. شعره بالجدار يهتز، شعر بالهدير يغطي كل شيء بالمكان، فيغرق ما بداخل «نورمان بيتس» من كلمات وأفكار.. كان مصدر الهدير هو داخل رأسه، وشعر بنفسه يسقط من جديد على الكرسي.

أنا ثمل.. هكذا أخبر نفسه.. سرعان ما سأل فقد وعيي..

استمر الزئير، ووسط صوت الزئير استطاع تمييز صوت آخر. صوت باب المكتب يفتح. كيف يحدث هذا؟ لقد أغلقه بالمفتاح، صح؟ والمفتاح لا يزال معه. لو فقط يستطيع فتح عينيه، سيتمكن من إيجاده. لكنه لم يستطع فتحهما. لا يجرؤ على فعلها، لأنه كان يعرف...

والدته لديها مفتاح كذلك. لديها مفتاح لباب غرفتها. لديها مفتاح لباب البيت. كما لديها مفتاح لباب المكتب. وكانت تقف داخل المكتب في هذه اللحظة، تنظر لأسفل نحوه!

تمنى لو تعتقد أنه قد غفى مكانه. ماذا تفعل هنا على أية حال؟ هل سمعت صوته وهو يخرج مع الفتاة، ونزلت لكي تتجسس عليه؟ تراجع «نورمان» للوراء، دون أن يجرؤ على الحركة، وغير راغب في الحركة!

كل لحظة تمر تجعل حركته صعبة أكثر فأكثر، حتى لو رغب في أن يتحرك. صار صوت الزئير ثابتًا الآن، وصوت الاهتزازات يدفعه نحو النوم. كان هذا لطيفًا. أن تهدده حتى يخلد للنوم، بينما أمه تقف وراءه ثم اختفت! التفتت للخلف دون أن تقول كلمة وخرجت!

ليس هناك ما يخاف منه. لقد أتت لتحميه من العاهرات. نعم، هذه هي الحقيقة. لقد أتت لحمايته! كلما احتاجها، كانت أمه موجودة. والآن صار

بوسعه أن يخلد للنوم. ليست هناك أي خدعة بالموضوع.

ثم سرعان ما خيم الصمت على المكان.. صمت منوم.

هز «نورمان» رأسه في قوة، وأرجعها للوراء كأنه يتمطع.. رباه، كم تؤلمه!  
لقد فقد وعيه بينما هو جالس على الكرسي، فقد وعيه فعليًا! لا عجب أنه  
شعر بكل شيء من حوله ينبض ويزأر.

لقد سمع نفس الصوت من قبل. منذ متى؟ ساعة، ساعتين؟ الآن استطاع  
تمييزه.. صوت هدير مياه الدش بالغرفة المجاورة. هذا هو. لقد دخلت الفتاة  
لتأخذ حمامًا. لكن هذا حدث منذ فترة طويلة للغاية. مستحيل أن تكون لا  
تزال تستحم، صح؟ تقدم للأمام، وأزاح رخصة الفندق المعلقة على الحائط.  
ثم حاولت عيناه أن تعبرا الشق الصغير لتتفقد غرفة الحمام الموجودة  
بالخلف. كانت خالية. لم يستطع رؤية كابينة الاستحمام الموجودة بزاوية  
الحجرة.

كانت ستائر الحمام مغلقة فلم يستطع رؤية شيء. ربما نسيت موضوع  
الحمام وتركته وخلدت للنوم دون أن تغلقه. بدا غريبًا أن تتمكن من النوم مع  
صوت المياه الهادرة بتلك الطريقة، لكن ربما كان هذا ما حدث..

ربما كان تأثير الإرهاق عليها كتأثير الكحول عليه. على أية حال، لم يبد أن  
هناك شيء خطير قد حدث، فالحمام يبدو كما هو.. تفرس فيه «نورمان»  
لمرة ثانية، قبل أن يلاحظ الأرضية!

تجمعت مياه الدش بين قطع البلاط. ليست كمية كبيرة من المياه، فقط  
خيوط رفيع منها، لكن كانت كافية لكي يلاحظها وهي تتسلسل في الفراغات  
الموجودة بين بلاط أرضية الحمام.. لكن هل هي مياه فعلاً؟

المياه على قدر علمه ليست وردية اللون. كما أن المياه لا تحتوي على  
خطوط حمراء داخلها، خطوط حمراء رفيعة كالعروق. لا بُدَّ أنها تعثرت، لا بُدَّ  
أنها تعثرت وجرحت نفسها!

هكذا فكر «نورمان». تصاعد الهلع بداخله، لكنه عرف ما يجب أن يفعله.  
سحب مفاتيحه من فوق المكتب وهرع خارجًا من المكان. سرعان ما وجد  
المفتاح الصحيح وكان يفتح الباب. كانت غرفة النوم خالية، وكانت الحقيبة  
المفتوحة لا تزال راقدة على الفراش كما هي.. لم تذهب الفتاة لأي مكان.  
إذن فتحمينه صحيح، لا بُدَّ أن حادًا ما وقع لها بالحمام. يجب أن يدخل هناك.  
بعد أن دخل الحمام تذكر شيئًا آخر، لكن كان الوقت قد تأخر كثيرًا.. شعر  
بذعره ينفلت زمامه كجواد جامح، ثم أدرك أن هذا لن يساعده الآن. كان ما  
تذكره هو أن أمه لديها مفاتيح للفندق كله. والآن، وبينما هو يسحب ستائر

الحمام جانبًا، وأخذ يحدق لأسفل نحو الجسد الملتوي الفارغ من الحياة  
والمرمي على أرضية البانيو، أدرك «نورمان بيتس» أن أمه قد استعملت  
مفاتيحها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الخامس

أغلق «نورمان» الباب من خلفه، وعاد للبيت.

صارت ملابسه في حالة مزرية، وقد صارت الدماء تغطيها طبعًا، والطين كذلك، كما أنه قد تقيأ على أرضية الحمام أكثر من مرة، لكن هذا لا يهم الآن، فهناك أشياء أخرى يجب أن يهتم بتنظيفها أولاً قبل أن يلتفت لثيابه. هذه المرة يجب أن يفعل شيئًا!

سيضع والدته في مصحة حيث يجب أن تكون!

يجب أن يفعل هذا!

كل هذا الهلع وكل هذا الرعب، كل هذا الخوف وكل هذا الاستنكار الذين تصاعدوا في أعماقه وجهوا تفكيره لذلك الحل.. ما حدث كان مأساويًا، مربعًا بشكل لا تصفه الكلمات، لكنه لن يحدث ثانية!

شعر كأنه صار رجلًا آخر - رجل يتحكم في مقاديره. هرع «نورمان» صاعدًا درجات السلم وجرب مقبض الباب الأمامي، فوجده غير موصل، بينما لا يزال النور ساطعًا داخل البهو الخالي. نظر سريعًا فيما حوله، ثم ارتقى درجات السلم التي تقود للطابق العلوي.. كان باب مخدع والدته مفتوحًا على مصراعيه، بينما نور المصباح يتسلل خارج الغرفة نحو البهو. دخل دون أن يزعج نفسه بطرق الباب، فلا حاجة للتظاهر بعد الآن. لا يمكن أن تفلت أمه بما فعلته هذه المرة.. مستحيل!

لكنها أفلتت بالفعل، فالغرفة كانت خالية!

استطاع رؤية أثر جسدها على حشية الفراش، واستطاع أنفه أن يلتقط رائحتها المميزة بهواء الحجر، ورأى كل شيء في مكانه المعتاد، الدولاب المنتصب بركن الحجر، والكرسي الموجود جواره، وتماثيل القطط السيراميكية الموضوعة على النضد المجاور للفراش. كل الأشياء في مكانها كما كانوا دومًا. لم يتغير شيء في غرفة والدته؛ لم يتغير شيء أبدًا.

لكن أمه اختفت. خطأ مقترَّبًا من الدولاب، وتفرس في الملابس الموجودة فيه..

لم تكن إلا بعض ثيابها، وشال، لكن لم يلبث أن ارتجف جسده من قمة رأسه حتى أخمص قدميه عندما انتبه لبقعة الدم!

لا بُدَّ أنها رجعت لحجرتها وقامت بتغيير ملابسها قبل أن تقوم بالفرار!

لا يستطيع أن يقوم بالاتصال بالشرطة، فهو لا يستطيع أن يقوم بتسليمها لهم.. صحيح أنها قامت بجريمة شنيعة، لكنها مجرد مريضة.. ليست مسؤولة عن أفعالها. الجريمة المتعمدة شيء، والمرض النفسي شيء آخر تمامًا، ومن أبسط بديهيات الطب النفسي هي أن المريض العقلي غير مسؤول عن أفعاله.

لكن المشكلة أن هناك بعض المحاكم التي لا تُقر هذا المبدأ!

لقد قرأ الكثير عن قضايا من هذه النوعية، قامت فيها المحكمة بالإقرار بمرض الجاني، لكنها في نفس الوقت قامت بإصدار حكمها بإبعاد المتهم عن المجتمع بالكامل، ليس عن طريق إرساله لإحدى المصحات، وإنما بإيداعه في إحدى المستشفيات الحكومية المرعبة! يعتقدون أنه لا ذنب للمجتمع أن يعاني من وجود مثل هؤلاء الأفراد، حتى لو كانوا غير مسؤولين عن تصرفاتهم.

أخذ «نورمان بيتس» يجيل النظر فيما حوله، وهو يفكر أنه من المستحيل أن يفعل هذا في والدته!

لن يسمح بنقلها من هذه الحجرة المنظمة النظيفة لزنزانة حقيرة عارية من الأثاث!

لا يزال كل شيء على ما يرام ما دامت الشرطة لا تعرف شيئًا بخصوص أمه، فهي تقيم معه بالمنزل ولا يعرف أحد بأمرها.. لم يعد أحد يراها أو يزورها.

شعر «نورمان بيتس» أنه قادر على أن يسدل ستارًا كاملًا على تلك المأساة التي جرت للتو لو تمكن من اعتصار ذهنه بما فيه الكفاية.. أخذ يسترجع ما حدث في الساعات القليلة الماضية.

لقد وصلت الفتاة بمفردها، وأخبرته أنها قد سافرت بسيارتها طيلة النهار، مما يعني أنها لم تتوقف طيلة رحلتها، ولم تمر بأحد على الإطلاق، بالإضافة إلى أنها لا تعرف مكان بلدة «فيرفيل» هذه لأنها لم تذكرها أثناء حديثهما سويًا، كما أنها لم تذكر اسم أي بلدة أخرى قريبة، مما يدل على أنها لم تكن تنتوي زيارة أي شخص من تلك المنطقة.. لا بُدَّ أنها كانت تنتوي الاستمرار في قيادة سيارتها باليوم التالي باتجاه الشمال!

كل هذا مجرد تخمين من جانبه، لكنه تخمين منطقي يتفق مع ما لديه من معطيات، ولا يوجد مفر من التصرف على أساسه. صحيح أن الفتاة قامت بالتوقيع باسمها في دفتر النزلاء، لكن هذا لا يعني شيئًا، ولو قام أحدهم

بسؤاله عن الفتاة فيما بعد فسيخبره أنها قضت ليلتها في الفندق ورحلت  
بالصباح!

ما يجب فعله الآن قبل أي شيء هو التخلص من جثتها وسيارتها، ثم يقوم  
بتنظيف المكان من آثار جريمة القتل!

هذه هي الطريقة الوحيدة لتجنب تدخل الشرطة في الموضوع، ليتمكن من  
إنقاذ والدته.. ولتكونن أول خطوة سيقوم بها هي التخلص من الجثة!

أما بالنسبة لرداء والدته وشالها، فسيقوم بإحراقهما، كما سيحرق كل  
ملابسه التي ستتنسخ بالدماء.. لكن لا، الأفضل أن يتخلص من الملابس  
بنفس الطريقة التي سيتخلص بها من السيارة وجثة الفتاة، صح؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قام «نورمان بيتس» بتبديل ملابسه، قبل أن يحمل ثيابه وثياب أمه المملوطة  
بالدماء لقبو المنزل، حيث وضعها كلها داخل سلة كبيرة للثياب، قبل أن  
يحمل السلة نفسها لخارج البيت، بعد أن قام بإغلاق جميع الأنوار!

أخذ يتحسس طريقه في الظلام الدامس المخيم على المكان، حتى وصل  
بالنهاية للفندق.

فتح حجرة الفتاة، أدخل السلة، ثم قام بإشعال النور، وتنفس الصعداء!

لكن هدوءه هذا لم يستمر لفترة طويلة، فلم يلبث أن تذكر ما ينتظره داخل  
الحمام، فأخذ جسده يرتجف من جديد...

- لا! لن أستطع رؤيتها ثانية! لن أجرؤ على دخول الحمام.

لم يلبث عقله أن أجاب بحزم:

لكن يجب أن تدخل يا «نورمان»! لا مفر من ذلك.. والأهم من كل هذا هو  
أن تتوقف عن الحديث مع نفسك بمثل هذا الصوت العالي!

نعم، هذا هو المهم الآن.. يجب أن يتوقف عن الحديث مع نفسه.. يجب أن  
يسترد رباطة جأشه ويواجه حقائق الموقف بشجاعة.

ما هي هذه الحقائق؟

أولها هي جثة الفتاة التي قتلتها أمه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهروب لن يعيد الحياة للجثة، كما أن إبلاغ الشرطة عن أمه لن يغير من الموقف قدر أنملة.

أفضل من يمكن فعله إذن هو أن يتخلص من آثار ما حدث!

دخل الحمام مرتجفًا، وكان أول شيء رآه هو السكين الضخم التي ارتكبت بها الجريمة.. مد يده ليتناولها، قبل أن يلقي بها في السلة.

بعد هذا قام بوضع غطاء على الرأس والجثة -المنفصلين عن بعضهما- ولم يلبث أن حملهما للسلة كذلك!

بعد هذا عاد لحجرة الفتاة، وأخذ يفتش حقيبة يدها حتى عثر على مفاتيح السيارة..

خرج من الفندق، وجال ببصره هنا وهناك في المساحة المواجهة للفندق، بينما العرق يغرق جسده ووجهه، من قبل أن يحمل السلة الضخمة للسيارة حتى!

لم يكن عرقًا ناتجًا عن الإجهاد أو التعب، وإنما كان ناتجًا عن الهلع والرعب!

ألقي السلة داخل السيارة، ثم عاد لحجرة الفتاة ليجمع ملابسها ويحشرها داخل حقيبتها. رأى حذاءها، جواربها، وملابسها الداخلية التي كانت قد خلعتها عن جسدها قبل مقتلها!

وضع كل هذا داخل الحقيبة، قبل أن يبحث عن أدوات التجميل المتناثرة هنا وهناك والتي لا تخلو غرفة أنثى منها. جمع الدبابيس والأشرطة ومشط شعر، ووضع كل هذا داخل الحقيبة كذلك، ثم أخذ الحقيبة التي زاد ثقلها نحو السيارة التي قبعته في انتظاره صامتة!

أرهف سمعه طويلًا، وأخذ يجول ببصره هنا وهناك، وعندما تأكد أنه لا يوجد شخص يراه، قام بإغلاق باب الفندق وجلس أمام عجلة القيادة، قبل أن ينطلق بالسيارة!

أخذ يقودها ببطء في البداية، ثم لم يلبث أن تزايدت سرعته تدريجيًا. انحرف بالسيارة بعد برهة في طريق ضيق موحل يخترق الحقول، وكان قد اعتاد على الذهاب في هذا الطريق من وقت لآخر كلما رغب في أن يجلب بعض الخشب من الغابة ليستعملوه كحطب للمدفأة. لم تكد تمر بضع دقائق حتى كانت السيارة تخترق الطريق الموحل المهجور الممتد بين أشجار الغابة التي انتصبت على جانبيه كأنها شاهدة على جرمه! بالنهاية وصل للسان ضيق يمتد عبر منطقة المستنقعات التي تحيط بالغابة. هنا أطفأ الكشافات،

وقفز من السيارة، تاركًا إياها مستمرة في اندفاعها نحو المستنقع بكل ما يرقد داخلها!

وقف «نورمان» يراقب السيارة وهي تغطس داخل المستنقع تدريجيًا، قبل أن تغيب للأبد في قاعه حيث لن يعرف أحد بمكانها حتى يوم الدينونة!

لم يغفل عن إزالة آثار عجل السيارة في الوحل بقدر الإمكان. وبعدما رأى آخر فقاعات هواء تخرق سطح المستنقع بينما السيارة تغيب في جوفه، تنفس الصعداء!

صارت السيارة داخل المستنقع، والسلة تنتصب داخل السيارة، والجثة ترقد داخل السلة!

رجع للفندق بعد هذا، ليتجه من فوره للحمام، حيث بدأ عملية التنظيف المحمومة، راغبًا في إزالة كل أثر للدماء من المكان.. غسل الجدران والأرضية بكل همة حتى أنهكه ظهره. وعندما فرغ من هذا ألقى نظرة أخيرة هنا وهناك، خوفًا من أن يكون قد نسي شيئًا من متعلقات القتيلة.

ولحسن الحظ أنه فعل هذا، فقد عثر أسفل الفراش على قرطها!

لكنه لا يتذكر أنها كانت ترتدي قرطًا عندما جلسا سويا ذلك المساء يتناولان عشاءهما، صح؟

لا، لا بُدَّ أنه ملكها وهو لم يلحظ، لكن دار بباله خاطر مفزع آخر، ألا وهو: أين القرط الآخر؟

شعر بجسده منهكًا لا يقوى على شيء، ومثله كانت عيناه اللتان شعر بهما لا تكادان تبصران شيئًا مما أمامهما، لكنه رغم هذا أخذ يبحث عن فردة القرط الأخرى بكل ما تبقى في جسده من قوة، لكنه لم يعثر على شيء!

لا بُدَّ أنه موجود داخل حقيبتها، أو في أذن رأسها الذي يرقد داخل السلة التي ولا بُدَّ قد وصلت لقاع المستنقع منذ زمن.. لا أهمية لهذا على أية حال، صح؟

عمومًا سيذهب للمستنقع بالصباح، ليتخلص من فردة القرط التي معه كما تخلص من جثة صاحبه!

## الفصل السادس

وقف «هنري لوميس» داخل متجره ببلدة «فيرفيل» في مساء الجمعة التالية، يستمع لبرامج الراديو السخيفة بينما هو يتفحص سجلاته ويراجعها سطرًا وراء الآخر في حرص.

نظرة واحدة لتلك الأرقام التي تراصت أمامه كانت كافية ليشعر بالتفاؤل.. سيصير بمقدرته أن يتخلص من ألف دولار كاملة من ديونه مع نهاية هذا الشهر!

لكم ستفرح «ماري» العزيزة حينما تعرف تلك الأخبار!

كم هي مسكينة، فقد كشفت رسائلها الأخيرة له عن كم هائل من اليأس والحزن تصاعدا داخلها.. والأهم من هذا أن رسائلها قد قلت في الفترة الأخيرة بشكل ملحوظ، لدرجة أنه أرسل لها خطابًا منذ أسبوع، فلم يتلقَ أي رد!

أهي مريضة، أم أنها متضايقه منه؟

لكن لو كانت مريضة فعلاً، فلم لَمَ تقم أختها بالكتابة له نيابة عنها لتخبره؟ أيمكن أن يكون اليأس قد تملك روحها؟ هو يعترف أن لها كل الحق في أن تياس، فقد قضت تلك البائسة جُلَّ عمرها في الكفاح والعمل دون أن تعرف خلال كل هذا الوقت للراحة طعمًا، أو تلتقي بالسعادة يومًا.

لكنه يكافح هو الآخر كفاحًا مريئًا، ولم يكن أمامه مفر، وهي تعرف كل هذا، وقد وافقته على الانتظار. تمنى لو يستطيع أن يختلس من عمله إجازة ليومين في الأسبوع المقبل، ليفاجئ «ماري» العزيزة بزيارة تجلب عليها السعادة والسرور، نعم، سيفعل هذا بالأسبوع القادم مباشرة!

وبينما هو يفكر في كل هذا، سمع صوت دقات على باب المتجر!

اعتاد علي إغلاق باب المتجر على نفسه كل ليلة ليقتضي ليلته فيه، لكن ما لم يكن مألوفًا هو ارتفاع صوت الدقات وسط سكون الليل!

جميع أهل البلدة يعرفون أنه ينام داخل المتجر، وقد اعتادوا أن يتصلوا به على الهاتف أولًا لو حدث وأراد أحدهم شيئًا منه، لهذا كان من الغريب أن يسمع صوت الطرقات فجأة في ظلام الليل!

أخذ «هنري» يبحث عن المفتاح في جيب بنطاله، قبل أن يهرع نحو الباب ليفتحه.. لا بُدَّ أن الأمر جلل..

بمجرد أن انفتح الباب وأدرك شخصية زائره حتى وقع قلبه وسط قدميه،  
وتجمد في مكانه للحظات، قبل أن يتمالك نفسه فيجري نحوها هاتفاً:

- «ماري»!

مدّ ذراعيه يحيط بجسدها تلقائياً، بينما اندفعت شفثيه نحو شفثيها كأنما لهما  
إرادة خاصة بهما، لكن أدهشه تراجع الفتاة للخلف مندهشة وهى تدفعه  
هاتفة:

- أنا لست «ماري».. أنا «ليلي»!

- «ليلي»!

تراجع «هنري» للوراء مندهشاً للحظة، قبل أن يحك مؤخرة رأسه في إحراج  
وقد أدرك خطأه ويستطرد:

- أوه.. شقيقة «ماري»، صح؟

- بالضبط.

أخذ يتأمل زائرتيه، وقد بدأت عيناه تلاحظان الاختلافات الطفيفة بينها وبين  
شقيقتها، لاحظ اختلاف الطول، واختلاف عرض الكتفين، واختلاف شكل  
الفك والأنف.. غمغم في إحراج:

- آسف، الإضاءة الخافتة جعلتني أظنك «ماري».. كم تشبهينها.. آسف فعلاً.

- لا عليك.

كان الصوت مختلفاً كذلك. كانت نبرتها تختلف عن نبرة «ماري» الشقية  
الحنون.

ترددت الفتاة للحظات، انتبه فيها «هنري» للحقيبة الصغيرة التي تحملها..  
مد يده نحوها قائلاً:

- غرفتي في مؤخرة المتجر.. دعيني أحمل حقبتك لهنالك.

سارت وراءه صامتة، وعندما مرا بجانب الراديو الذي كان لا يزال يعمل مد  
يده نحوه ليطفئه، لكنه سمع صوتها تهتف:

- لا تغلقه! أريد أن أعرف من صاحب تلك الموسيقى.. هل هو  
«فيلالوبوس»؟

- لا.. هذه الموسيقى لموسيقار آخر يدعى «راسيبيجي» اسمها «ذكريات  
برازيلية».

- مممم.. غريب.. ليس لدينا أي نسخة من اسطوانات هذا الموسيقار بالمتجر.

وهنا تذكر «هنري» أن «ماري» أخبرته سابقًا أن أختها تعمل في متجر تسجيلات ضخمة. سألتها:

- هل تفضلين أن أترك الراديو دائرًا، أم تريدين أن نتحدث فأغلقه؟

- ربما كان من الأفضل أن نتحدث، فلماذا السبب أتيت.

أغلق الراديو قبل أن يقدم لها كرسيًا لتجلس عليه وهو يسألها:

- لم لا تعطيني معطفك لأغلقه لك حتى لا يتكسر؟

- لا حاجة لهذا، فليس في نيتي البقاء لفترة طويلة.. بعدما أرحل سأذهب للبحث عن غرفة بأحد الفنادق المجاورة.

- هل جئتي لزيارة أحدهم؟

- على الإطلاق.. غالبًا سأرحل صباح الغد. لقد جئت للبحث عن «ماري».

أخذ ينظر نحوها صامتًا غير مصدق.. هتف:

- ماري! هنا؟ وما الذي سيجعلها تأتي هذه الأنحاء؟!

- لهذا أتيت لك.. كنت أتمنى أن أجد لديك إجابة لهذا السؤال.

- أنا؟ وكيف سأعرف؟ لم أر «ماري» على الإطلاق منذ فترة طويلة!

- ألم تأت لك في بداية الأسبوع؟

- بتاتًا! لم أرها منذ الصيف الماضي!

ثم تهالك الشاب على فراشه مستطردًا:

- ما الذي حدث يا «ليلي»؟! أخبريني! ما معنى كل هذا؟!

- أتمنى لو كنت أعرف.

أشاحت الفتاة بوجهها حتى لا تتلاقى أعينهما، بينما ركز هو نظره نحو عينيها الدقيقتين الناعمتين. لاحظ «هنري» في تلك اللحظة أنها شقراء الشعر، وتختلف عن «ماري» تمامًا، واندهش لكونه ظنهما هي بالبداية، فالفتاتين متباينتين أشد التباين. لم تكن «ماري» قلقة وشديدة التوتر مثل أختها التي تجلس أمامه الآن.



هتف ليستحثها على الكلام:

- أرجوكي تكلمي.. أخبريني بما حدث على وجه التحديد.
- رفعت عينيها نحوه فجأة.. لم يفهم نظرتها.. شعر بها نظرة غامضة متسائلة تحمل من الأسئلة أكثر مما تحمل من إجابات.. بالنهاية سألته:
- هل كنت تقول الحقيقة حين أخبرتني أن شقيقتي لم تأتِ هنا؟
- لم أخبرك إلا الحقيقة! بل إنني لم يصلني أي رسائل منها خلال الأسابيع الماضية، لدرجة أنني كنت قد بدأت أشعر بالقلق عليها.. أبتئني بالله عليك بما حدث!

- أصدقك.. لكن ليس عندي ما أخبرك به للأسف!

صمتت للحظة تلتقط أنفاسها وهي تحاول تفادي نظراته، قبل أن تتنهد مردفة:

- آخر مرة رأيت فيها «ماري» كانت منذ أسبوع. قبل أن أسافر لـ «دالاس» يوم الجمعة بسبب بعض العمل في متجر التسجيلات. قضيت نهاية الأسبوع في «دالاس»، وغادرتها مساء الأحد، لأصل بصباح يوم الإثنين للمنزل، لكن «ماري» لم تكن هناك. اعتقدت بالبداية أنها ذهبت لعملها مبكرة، فانتظرت أن تتصل بي تليفونيًا من هناك كما اعتادت أن تفعل، لكنها لم تتصل! قمت بالاتصال بمكتب «لوپيري» الذي تعمل به لأسألهم عنها، ليرد عليّ السيد «لوپيري» نفسه ويخبرني أنه كان على وشك الاتصال بنا للاستفسار عنها، فهي لم تظهر بالمكتب صباح الإثنين، وقال أنه لم يرها منذ ظهر يوم الجمعة!

هتف «هنري»:

- لحظة واحدة! أتقصدين أنك لا تعرفين عنها شيئًا منذ أسبوع كامل؟!!

- بالضبط.

- ولم لَمْ تحاولي التواصل معي من قبل؟! لماذا لم تتصلي بي تليفونيًا؟! وهل قمتي بإبلاغ الشرطة بكل هذا أم لا؟

- الواقع أن...

لكنه قاطعها بحدة:

- الواقع أنك لم تحركي ساكنًا طيلة تلك الفترة، ثم قررتي أخيرًا أن تأتي لي لتسأليني عما إذا كنت قد رأيتها.. أهذا منطقي؟!!

- «هنري»... أرجوك توقف عن الحديث بتلك الطريقة! الشرطة لا تعلم شيئًا عن الموضوع. والسيد «لوپيري» هذا لا يعرف شيئًا عنك.. وعندما تحدثنا سوياً عن الموضوع اتفقنا على عدم إبلاغ الشرطة! لكنني في أشد الخوف عليها! لهذا أتيت لك بنفسني لكي أستعلم منك.. فقد خطر لي أنكما.. ربما.. تكونان قد دبرتما هذا سوياً!

صرخ «هنري» فيها بغضب:

- دبرنا ماذا؟!

وقبل أن تتاح لـ «ليلي» الفرصة لإجابة سؤاله، سمع كلاهما صوتًا هادئًا ثابت الجنان يقول:

- هذا ما أرغب في معرفته أنا الآخر في الواقع!

وبقدر ما كان صوته هادئًا، بقدر ما بدا وجه صاحبه جامد الأسارير، تنطق ملامحه بالقسوة! كان نحيلاً طويل القامة، ذا بشرة سمراء، وقد ارتدى معطفاً رماديًا طويلًا من الصوف، وقبعة سمراء مالت على جبهته لتخفيها.

سأله «هنري» مضيغًا عينيه في تساؤل:

- من أنت أصلًا؟ وكيف دخلت إلى هنا؟!

- كان الباب مفتوحًا يا رفيق، فدخلت للحصول على بعض المعلومات.. لكن ها أنا ذا أجد الآنسة قد سبقتنني في الوصول إليك، وطرحت عليك نفس السؤال الذي كان في جعبتي. والآن، هل بوسعك إجابتنا سوياً عليه؟

بدا الغضب على «هنري»، الذي تقدم نحو الرجل في حدة كأنما ينتوي ضربه، لكن هذا الأخير سبقه فأخرج يده من جيب معطفه وهي تحمل بطاقته ويقول:

- لا تتهور.. أنا أدعى «أربوجاسيت».. «ميلتون أربوجاسيت».. أعمل كبوليس سري خاص.. أعمل لدى شركة التأمين التي يتعامل معها السيد «لوپيري» بالمناسبة، وهذا هو سبب اهتمامي الحقيقي بالموضوع.. أن أعرف ماذا حدث للأربعين ألف دولار!

## الفصل السابع

أطفأ «أربوجاسيت» سيجارته الثالثة ليشعل الرابعة على الفور وهو يقول لـ «هنري»:

- تمام.. اتفقنا.. سأحاول تصديق أقوالك بأنك لم تغادر «فيرفيل» هذه على الإطلاق طيلة الأسبوع الماضي.. وعمومًا تلك النقطة بالذات لن تصمد فيها كذبتك على الإطلاق.. فليس هناك ما هو أسهل من التواصل مع أهل البلدة للاستفسار منهم عن تحركاتك!

سحب نفسًا طويلًا من سيجارته الأخيرة وهو يستطرد:

- لكن حتى لو كانت هذه هي الحقيقة، فليس هناك ما يمنع أن تكون الآنسة «ماري كرين» قد أتت لزيارتك.. كان بوسعها أن تستغل جناح الظلام لتتسلل لمتجرك هذا كما فعلت أختها هذه الليلة!

تنهد «هنري» محيئًا:

- معك حق في تلك النقطة.. لكنني أقسم أنها لم تفعل! اسمعني.. أنت بنفسك سمعت ما قلته لـ «ليلي» قبل دخولك بثواني! لم تصلني أية رسائل من «ماري» منذ أسابيع. لقد كتبت لها يوم الجمعة.. نفس اليوم الذي تقولون أنها اختفت فيه.. ما الذي سيجعلني أكتب لها خطابًا ما دُمت أعرف أنها تنتوي القدوم إلي!

هز «أربوجاسيت» كتفيه مبتسمًا في سماجة وهو يجيب:

- للتمويه طبعًا.

- لست بهذا القدر من الذكاء للأسف، ولا الخبث.. كما أنني لم أعرف أي شيء عن تلك النقود التي تتحدث عنها إلا منك أنت الآن، بل إن السيد «لوپيري» نفسه - على حد ما حكيتُه أنت بلسانك منذ لحظات - لم يكن يعرف أنه سيتلقى تلك الأربعون ألفًا من الدولارات ظهر يوم الجمعة، وبالتالي لم تكن «ماري» لتعرف هي الأخرى، وهذا ينفي فكرة خطتنا المفترضة للاستيلاء على النقود!

- صحيح، لكن فلنفترض أن الآنسة «ماري» قد اتصلت بك تليفونيًا مثلًا مساء الجمعة بعدما صار المبلغ بحوزتها، وطلبت منك أن تكتب الخطاب الذي تقول أنك أرسلته لها، على سبيل التضليل.

عقد «هنري» حاجبيه قائلاً:

- يمكنك التحقق من نقطة الاتصال الهاتفي هذه بسهولة من شركة التليفونات! أقول لك أنني لم أسمع من «ماري» منذ أسابيع! لا خطابات! لا تليفونات! لا شيء!

هنا أطرق «أربوجاسيت» برأسه، فقد كانت إجابة الشاب مقنعة، لكنه لم يأس، فسأله:

- حسناً.. سنفترض أنها لم تتصل بك هاتفياً كما تقول، ولكنها ربما تكون قد أتت لك على الفور لتخبرك بما حدث بنفسها، واتفقتما وقتها على موعد اللقاء فيما بعد حين تهدأ الأمور!

عضت «ليلي» على شفتيها وهي تلوح بيدها هاتفة:

- أختي ليست سارقة! وليس من حقك أن تتحدث عنها بتلك الطريقة! ليس لديك دليلاً واحداً يثبت قصصك المخترقة هذه.. لا تملك دليلاً حتى على أن المبلغ اللعين بحوزتها.. لماذا لا تفترض أن السيد «لوبري» هذا قد اختلق كل تلك القصة العظيمة لكي يخفي حقيقة أنه استولى على المبلغ لنفسه؟!!

هتف «أربوجاسيت»:

- رويدك.. أعرف ما تشعرين به يا آنستي، لكن لا يمكن أن نلصق به مثل تلك التهمة، فشروط شركة التأمين توجب أن يتم العثور على اللص ومحاكمته قبل أن تقوم برد المبلغ المختلس لصاحبه، بالإضافة لصدور الحكم القضائي كذلك على المجرم، مما يعني أنه لن يستفيد شيئاً من اختراع تلك القصة.. كما أنك أغفلتي بضع نقاط مهمة: أولها أن أختك قد اختفت عقب استلامها للمبلغ، ولا تزال مختفية حتى الآن، دون أن تقوم بإيداعه بالبنك، أو تخفيه في شفتكما حتى.. لقد اختفى المبلغ، واختفت «ماري كرين»، واختفت سيارتها كذلك. أعتقد أن اجتماع كل تلك القرائن له مغزى!

قالها وهو يشعل سيجارة جديدة، السادسة؟

أخذت «ليلي» تجهش بالبكاء وهي تهتف:

- مستحيل! كلها مجرد قرائن سطحية لا معنى لها! كان يجب ألا أستمع لكلامك أنت و«لوبري» هذا وأقوم بإبلاغ الشرطة، لكنني كنت غبية ووافقتكما! أفتعتماني بحجة الرغبة في كتمان الأمر، وتجنب إحداث فضيحة لا داعي لها، وأن «ماري» ربما تغير رأيها وتظهر لتعيد المبلغ، لكنني متأكدة الآن أنها لم تأخذه، أكيد أحدهم كان يعرف بأمر المبلغ فاختطفها!

هز «أربوجاسيت» كتفيه في يأس من إقناعها وهو يقوم من مجلسه، وأخذ يسير في أنحاء المكان جيئة وذهاباً، قبل أن يتوقف أمام «ليلي» ويضع يده

على كتفها في رفق قائلاً:

- استمعي لي من فضلك.. هل نسيتي أننا تناولنا هذا الموضوع بالحديث قبلاً؟ لم يكن هناك من يعرف بأمر النقود غير أختك والسيد «لويري»، كما أنها لم يتم اختطافها، فكل الشهود يجمعون على أنها عادت للبيت يومها بمفردها، وقامت بحزم متاعها، قبل أن تنطلق بسيارتها، ولم يكن هناك أي شخص آخر معها طيلة الوقت.. ألم تسمعي بأذنيك هذا الكلام من صاحبة المنزل؟

صرخت «ليلي» فيه:

- لا يهمني ما قالته تلك العجوز الشمطاء! في كل الأحوال من الأفضل أن يتم إبلاغ الشرطة بدلاً من إضاعة الوقت في مراقبتي والتجسس علي!

ابتسم الرجل بسماحة وهو يسألها بكل هدوء ممكن:

- وما الذي يجعلك تظنين أنني أراقبك؟

- ولأي سبب آخر ستأتي ورائي لهذا هذه الليلة بالذات؟ أنت لم تكن تعرف أصلاً بوجود صلة بين «ماري» و«هنري»! لا أحد غيري يعرف بعلاقتهم!

هز الرجل رأسه نفيًا مجيئًا:

- يؤسفني أنك مخطئة.. هل نسيتي أنني ذهبت لشقتكما وقمت بتفتيش مكتب أختك؟ وقد عثرت فيه على هذا المظروف.

قالها وهو يخرج من جيبه مظروفًا قدمه لها، فصرخ «هنري»:

- عليه اسمي وعنواني!

- صحيح، لكن لا يوجد بداخله أي رسالة. وقد قررت الاحتفاظ به لأنه مكتوب بخطها، ولم أتوقف عن الاستعانة به طيلة رحلتي إلى هنا منذ صباح الأربعاء.

تهالكت «ليلي» على كرسيها من جديد قائلة:

- صباح الأربعاء؟ تقصد أنك كنت آتياً هنا في كل الأحوال منذ يوم الأربعاء؟

- بالضبط.. لم أكن أتعقبك كما ظننتي، وإنما سبقتك.. لقد أعطاني عنوان «هنري» على المظروف الدفعة التي كنت أحتاجها، فقد كان العنوان على المظروف بالإضافة لصورة «هنري» بجوار فراش «ماري» كافيان.. كان واضحاً أن هناك علاقة تجمعهما، وهنا سألت نفسي: فلنفترض أنني مكانها، واختسلت مبلغ أربعين ألف دولار، ماذا ستكون خطوتي التالية؟ أول شيء

سأفعله هو مغادرة البلدة بأسرع وقت ممكن، لكن أين سأذهب؟ كندا؟ المكسيك؟ لكن كلتاهما لا تخلو من خطر، وخصوصًا أنه ليس متاحًا لي وقت كافي لإعداد خطة محكمة، هكذا سيكون من الطبيعي أن يكون أول ما أفكر فيه هو الذهاب للشخص الذي أحبه!

خبط «هنري» بقبضته على المائدة الخشبية في ثورة صائخًا:

- يكفي هذا! ليس من حقك أن تكيل تلك الاتهامات بينما أنت لا تملك دليلًا واحدًا في صفها!

تناول «أربوجاسيت» سيجارة جديدة وهو يجيبه:

- دليلًا واحدًا؟ ماذا كنت تظنني أفعل إذن منذ صباح الأربعاء وحتى وصلت اليوم؟ لقد وجدت سيارتها.

صاحت «ليلي» وهي تقوم من مجلسها:

- سيارة «ماري»؟

- نعم.. لقد فكرت في أن أول ما ستفعله هو محاولة التخلص من سيارتها، فمررت بكل تجار السيارات المستعملة الموجودين في الطريق لهذا، وعرفت أنها قامت بتغيير سيارتها مرتين إمعانًا في تضليل من يفكر في اتباعها. حصلت على مواصفات آخر سيارة قامت باستئجارها، وهكذا صار معي معلومات قوية أستطيع الاعتماد عليها أثناء سؤالي لأصحاب الفنادق الموجودة بالطريق، لكن يبدو أنها لم تتوقف عند أي واحد من تلك الفنادق، وإنما توقفت عند محطات الوقود فقط، ومن تحرياتني عرفت أنها مرت عبر الطريق الرئيسي خارج بلدة «تولسا» في صباح السبت الماضي، مما يعني أنها كان من المفترض أن تكون قد وصلت لهذا مساء ذلك اليوم!

تحشج صوت «هنري» وهو يجيبه:

- لكن.. لكنها لم تصل و...

قاطعها «أربوجاسيت» في ضجر:

- حسنا.. تقول أنها لم تصل، ولم تقم بالاتصال بك حتى، صح؟ إذن معنى هذا أن هناك حادثًا قد وقع لها في الطريق!

أجابت «ليلي»:

- ما زلت عند رأيي أنه يجب أن نقوم بإبلاغ الشرطة.. فلو أن حادثًا قد وقع لها فعلا فأنت ليس بوسعك أن تستفسر من جميع المستشفيات الواقعة بين

هنا و«تولسا».. ومن يدري، ربما كانت قد فقدت وعيها في مكان مهجور بينما نحن نتشاجر هنا!

ولم تستطع إكمال عبارتها، لأنها أجهشت بالبكاء.

ربت «هنري» على كتفها بلطف قائلاً:

- مستحيل.. لو أن حادثًا أصابها فعلاً لتم إخطارنا به منذ أيام.

ثم توجه بحديثه لـ «أريوجاسيت»:

- «ليلي» محقة، فليس باستطاعتك الاستمرار في عملية البحث هذه بمفردك. لماذا لم تبلغ الشرطة لتشارك معنا في البحث؟

- لسبب مهم للغاية، ألا وهو أننا لو تمكنا من العثور عليها دون تدخل الشرطة سنوفر الكثير من الدعاية الضارة على «ماري»، والشركة، و«لوپري» نفسه! لو تمكنا من العثور عليها في السر وأعدنا المبلغ سنعفيها من الاتهام والعقاب.. وأعتقد أن هذه النتيجة تستحق أن نبذل في سبيلها قصارى جهدنا.

ابتلع «هنري» ريقه وقال:

- لكن فلنفترض أنك محق في كل ما خمنت، وأن «ماري» قد وصلت لها فعلاً، فلماذا لم تأتي لي؟ أريد أن أفهم! وليس في نيتي الانتظار أكثر من ذلك لكي أفهم!

- أيمكنك على الأقل الانتظار لأربع وعشرين ساعة أخرى؟

صمت «هنري» لثواني يفكر، قبل أن يعقد حاجبيه وهو يسأله:

- وماذا تنتوي أن تفعل خلال تلك الفترة؟

- سأقوم بالتواصل مع كل المطاعم والفنادق ومحطات الوقود ومتاجر السيارات المستعملة الموجودة بالمنطقة، فربما أصادف من رآها. أنا متيقن من أنها انتوت القدوم إلى هنا، ربما تكون غيرت رأيها في آخر لحظة فواصلت طريقها نحو الشمال، لكن يجب أن أتأكد أولاً.

- ولو لم تصل لنتيجة خلال تلك الأربع وعشرين ساعة القادمة؟

- في هذه الحالة سأنفذ طلبكم بالاتصال بالشرطة!

نظر «هنري» نحو «ليلي» سائلاً:

- ما رأيك أنت؟

أجابت متلعثمة:

- لا أعرف. لم أعد أعرف شيئًا. أنا مضطربة الأعصاب للغاية، ولا أقوى على التفكير السليم. قرر أنت نيابة عني.

أجاب «هنري»:

- حسنًا.. بالنسبة لي فأنا موافق على الاقتراح الأخير.. أن ننتظر لأربع وعشرين ساعة، ولو لم يجدّ جديد خلالها، سأقوم أنا بالاتصال بالشرطة.

أوماً «أربوجاسيت» برأسه موافقًا، ثم تناول معطفه وقال وهو يهم بالخروج:

- حسنًا.. سأقوم بالبحث عن حجرة بأحد الفنادق لأقضي بها الليلة، ماذا عنك يا أنسة؟

نظرت «ليلي» نحو «هنري» الذي قال:

- سأقوم أنا بمرافقتها للفندق لكن بعد أن نتناول عشاءنا أولًا.. سنكون بانتظارك بالغد يا سيدي.

ولأول مرة بتلك الأمسية، انفرجت شفتا «أربوجاسيت» عن ابتسامة طبيعية وهو يقول:

- معذرة لو تصرفت بشكل فظ قبلاً، لكن كان يجب أن أفعل كل هذا لكي أتأكد من حقيقة ما حدث.

التفت إلى «ليلي» مستطردًا:

- سوف نجد «ماري»، فلا تقلقي.

بعد هذا خرج من المكان، لكنه لم يكد يغلق الباب من خلفه حتى ألقت «ليلي» برأسها على كتف «هنري» وهي تغمغم بصعوبة من بين دموعها:

- لكم أنا قلقة عليها يا «هنري»! أخشى أن يكون ذلك الرجل محققًا ويكون قد حدث لها مكروه!

- خففي عنك، فلا فائدة من كل هذا القلق.. ثم إنك متعبة وبحاجة لأن تصيبي شيئًا من الطعام والراحة، وسترين بالغد أن كل هذه مجرد ظنون لا أساس لها من الصحة.. سنجدها، وسترين.

- أعتقد هذا حقًا؟

- طبعًا!



لكنه في داخله أيقن أن هذه هي أول مرة يكذب فيها على امرأة في حياته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

## الفصل الثامن

ترك «أربوجاسيت» الفندق الذي قضى به ليلته في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي، بعدما ترك رسالة عند مكتب الاستقبال لـ «ليلي»، يخبرها فيها أنه سيتصل بها تليفونيًّا أثناء النهار بالفندق عندما يصل لأخبار جديدة، بما أنهما يقيمان في نفس الفندق، وبمجرد حلول الساعة التاسعة، حتى كان «هنري» يتصل بـ «ليلي» في غرفتها ليخبرها أن تلحق به ليتناولوا غداءهما سوياً.

- لكن «أربوجاسيت» هذا أخبرني أنه سيتصل بي أثناء النهار ليخبرني بالتطورات.

- لم لا تخبرين عاملة التليفون أن تقوم بتحويل مكالمته لمتجري؟

شعرت «ليلي» بالارتياح لهذا الاقتراح، وقررت اتباعه، فشعر «هنري» كذلك بالراحة، لأنه أشفق على المسكينة من أن تقضي ساعات نهارها كله نهياً للقلق والمخاوف كما قضى هو ليلته السابقة. حاول طول الليل أن ينفي كل تخمينات ذلك الرجل «أربوجاسيت» من عقله ويسفه منها، لكنه عند نقطة معينة اضطر للاعتراف بينه وبين نفسه أن نظريته منطقية في بعض النقاط، ولا تخلو من وجهة. كان من الصعب عليه تصديق أن «ماري» العزيزة لصة! فكل ما يعرفه عنها ينفي هذا الاحتمال بالكامل، ومع ذلك وجد سؤالاً يطفو في أعماقه: «ماذا يعرف عنها حقاً؟»، إنه في الواقع لا يعرف عنها إلا أقل القليل، لدرجة أنه اختلط عليه الأمر بالأمس وظن أن «ليلي» هي «ماري»!

لشد ما يندفع الإنسان بأولئك الذين يألفهم أو يجذب إليهم في علاقة رومانسية، وإن هناك الكثير من الأمثلة على هذا في بلدة «فيرفيل» نفسها!

هناك على سبيل المثال «تومكينز» العجوز الذي كان يعمل كناظر للمدرسة، والذي ترك زوجته وأسرته برمتها ليهرب مع فتاة في السادسة عشرة من عمرها، من كان يظن أنه يمكن أن يفعل شيئاً مثل هذا؟

وبالمثل، من كان يمكن أن يتخيل - في أشد أحلامه جموحاً - أن مقامراً عتيداً مثل «مايكل فيشر» يمكن أن يترك جُلُّ ثروته بعد موته لملجأ الأيتام بالبلدة؟

وكم من زوجة فاضلة - ظاهرياً - قامت بقتل زوجها بعد حياة زوجية سعيدة - ظاهرياً كذلك - امتدت لعشرات السنين!

وكم من موظف يشهد له الجميع بالأمانة والخلق الحسن، يتنكر فجأة لكل صفاته وأخلاقه لينقلب فجأة ليصير مختلساً!

ليس عجيبًا إذن أن تكون «ماري» قد اختلست تلك النقود حقًا كما يقول الرجل.. أتراها ملّت من طول الانتظار حتى يقوم بتسديد ديونه، ولم تستطع مقاومة الإغراء عندما وجدت ذلك المبلغ في حوزتها فجأة؟ رباها! لكم يرتجف جسده لهذا خاطر.. لكن حتى لو حدث هذا، أين ذهبت بالنقود؟ هل خطر لها مثلًا أن تهرب لمكان بعيد مثل العجوز «تومكينز» لكي تبدأ حياة أخرى جديدة وتتنكر لحياتها السابقة؟ أم تراها أصيبت بصدمة نتج عنها فقدان ذاكرتها فلم تعد تتذكر من هي فراحت تهيم على وجهها هنا وهناك؟

المشكلة أن هناك الكثير من الاحتمالات قائمة!

بمجرد أن يترك المرء مَنّا العنان لخياله، حتى تنطلق جياذ خياله الجامحة لترسم آلاف الأفكار والاحتمالات الممكنة!

بدأت «ليلي» لحسن الحظ في حالة أفضل، ويبدو أن قضاء ليلة من النوم والراحة قد جعلها في حالة نفسية أحسن. ذهبا سويًا لأحد مطاعم البلدة حيث تناولوا غداءهما، قبل أن يعودا لمتجره من جديد ليقضيا بعض الوقت يستمعان للموسيقى في انتظار المكالمة الحاسمة.. وعندما حلت الرابعة عصرًا دون أن يحدث الاتصال المرتقب، بدأت معالم الجزع والقلق تعودان لتظهرها على رفيقته التي قالت:

- لقد شارف المساء ولم يتصل بنا!

- فلنصبر قليلًا، فمهمته ليست سهلة وستأخذ الكثير من الوقت.

هكذا أجابها «هنري»، فسألته:

- ألم تتفق على أن نمنحه أربعًا وعشرين ساعة قبل إبلاغ الشرطة؟

- لا يزال باقي أربع ساعات على تلك المهلة، وأعدك - لو لم يتصل بنا - أن أذهب على الفور لـ «جون تشامبرز».

- من هذا؟

- عمدة بلدة «فيرفيل».

- الواقع أنه...

قاطعها زنين الهاتف، فهرع «هنري» نحوه ليلتقط السماعية في لهفة مجيئًا:

- آلو.. «أربوجاسيت»؟

- نعم.. أنا..

- أنا و«ليلى» بانتظارك هنا.. أين أنت الآن وماذا فعلت؟
- قمت بتفتيش المنطقة كلها حتى وصلت لـ «برناسوس». أنتوي العودة من خلال الطريق الرئيسي القديم، فقد أخبرني أحد عمال محطة وقود من اللاتي مررت بها أن هناك فندق صغير قديم هناك وربما يكون...
- آه، أتقصد فندق «بيتس»؟ لا أظن هناك فائدة من الذهاب إليه.
- يجب أن أجرب حظي، فهو آخر فندق بالقائمة. هل ستنتظران عودتي؟
- كم ستستغرق من وقت؟
- مम्म. حوالي ساعة على الأكثر.
- حسناً.. سنكون نحن الاثنان في انتظارك هنا بالمتجر.
- أعاد السماعه مكانها، فسألته «ليلى» في قلق:
- ماذا؟ أكان هو؟ ماذا قال؟ هل وجد شيئاً؟
- لم ينته بعد.. سيمر بفندق في طريقه ثم سيعود إلى هنا خلال ساعة، ولو تخلف عن هذا الموعد سنذهب على الفور للعمدة.
- مرت ساعة..
- ساعتين..
- ومع دوران عقارب الساعة لتعلن مرور الساعة الثالثة، بدأت «ليلى» تزرع أرض المتجر جيئة وذهاباً في قلق، بينما أخذ «هنري» يستعد لإغلاق المكان.
- وبمجرد حلول الساعة الثامنة، حتى دق جرس الهاتف!
- هرع «هنري» نحوه ليختطف السماعه حتى كاد يقع أرضاً، رفعه مجيئاً بلهفة:
- آلو.. أهذا أنت يا «أريوجاسيت»؟ أين كنت يا رجل! ألم تعدني بأن...
- لم يدعه الرجل يكمل جملته وإنما قاطعه بصوت هامس:
- ششش.. دعك من كل هذا.. أنا أتصل بك من الفندق.. ليس أمامي إلا دقيقة واحدة فاسمعنى جيداً! صديقتك مرت بهذا الفندق يوم السبت الماضي!
- اعتصر «هنري» السماعه بين يديه..
- «ماري»! هل أنت واثق من هذا؟

- كل الثقة.. لقد ميزت خطها في دفتر تسجيل النزلاء هنا. صحيح أنها وقعت باسم مستعار، لكنني واثق من أنه نفس الخط الموجود علي المظروف! انتحلت اسم «جين ويلسون» ودونت بجواره عنوانًا منتحلًا كذلك من «تكساس».

- وغير هذه المعلومات؟ أتوصلت لشيء آخر؟

- أوصاف الفتاة والسيارة التي كانت تقودها لا مجال للشك فيهما.

- وكيف عرفت كل هذه المعلومات؟

- من صاحب الفندق، أظهرت بطاقتي وأوهمته أن السيارة مسروقة، فبدأ عليه أشد الانفعال والتأثر.. لا أعرف لماذا، لكنني شعرت أنه غير متزن.. يقول إن اسمه «نورمان بيتس»، أتعرفه؟

- على الإطلاق.

- أخبرني أن الفتاة أتت بالسيارة حوالى السادسة من مساء السبت، وقد قامت بدفع أجرة الغرفة مسبقًا كما هو معتاد عنده.. ولأنها كانت ليلة عاصفة ممطرة فلم يأت يومها من الزائرين غيرها.. يقول إنها انصرفت بالصباح التالي قبل أن يستيقظ هو حتى.. عرفت كذلك أنه يعيش مع أمه العجوز بالبيت الموجود خلف الفندق.

- وهل تصدق ما قاله؟

- سؤال جيد، فالحقيقة أنني لا أعرف بعد.

- ماذا تقصد؟

- لقد ضغطت عليه بالكثير من الأسئلة عن الفتاة والسيارة عن قصد، فانزلق لسانه واعترف أنه تناول العشاء مع الفتاة ليلتها بداخل المنزل، ويقول إن هذا هو كل ما حدث ليلتها، وقد قال أن أمه شاهدة على كل هذا.

- وهل قمت باستجواب أمه هذه؟

- للأسف لا، فهي داخل غرفتها بالمنزل طيلة الوقت. ادّعى أنها طريحة الفراش لأنها مريضة ولا تستقبل أحدًا، لكنني لمحتها من نافذة غرفتها، فأصبرت على مقابلتها، وأخبرته في قسوة أنني سأقابلها سواء وافق على هذا أو لا، ولو أصّر على الرفض فسأضطر للجوء لأساليب رسمية سيندم عليها!

- ولكن هل لديك الحق في فعل هذا؟ أقصد بصفة رسمية؟

- اسمعني.. كلنا نريد الوصول للحقيقة مهما كانت الوسيلة، وقد فهمت أن ذلك الرجل «نورمان» لا يفقه شيئاً عن الإجراءات القانونية، فقد كاد يتبول على نفسه رعباً بمجرد رؤيته لبطاقتي الشخصية، هكذا انطلق للمنزل ليخبر أمه أن ترتدي ملابسها وتستعد لمقابلتي، وقد انتهزت تلك الفرصة للاتصال بك وإخبارك بكل هذا، فلتبقي مكانك حتى تنتهي تلك المهمة وأعود لكم.. مهلاً.. هناك صوت أقدام! لقد عاد.. إلى اللقاء الآن!

وانتهت المكالمة!

قام «هنري» بإخبار رفيقته بملخص المكالمة وأنهى حديثه بقوله:

- يبدو أننا أوشكنا على معرفة ما حدث حقاً.. كل ما علينا فعله الآن هو الانتظار!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

## الفصل التاسع

داخل الحمام، أمام المرآة، أخذ «نورمان» يتأمل انعكاسه، والذي أخذ يبادل النظر في برود.

غضب نفسه على تحويل عينه عن عينا انعكاسه، وبدأ يحلق ذقنه في بطء وشرود.. كانت هذه هي عادته، أن يحلق ذقنه كل سبت، ولكم كان يكره تلك العملية المقيتة التي تجبره على النظر للمرآة، فكل المرايا تبدو له متموجة، فتشعره بوجع في عينيه بعد فترة.. ربما تكون المرايا سليمة لا خطب فيها بينما الخطب الحقيقي في عينيه نفسهما، فقد اصطحبت أمه في طفولته لأحد الأطباء للتعرف على سبب تلك المشكلة، وقد قرر الطبيب وقتها أنه ضعيف النظر ويجب أن يرتدي نظارة.

كان يشعر أن سوء الحظ يلزمه منذ صغره، فمنذ طفولته وهو يكره منظر أي رجل ممتلئ، أو أي رجل يرتدي نظارات، فشاء له القدر أن يصبح كليهما!

لكم تمنى لو أنه طويل القامة رفيع الجسد مثل العم «جون كونسدين». ألم تقل أمه ذات مرة أن هذا العم هو صاحب أكثر قوام ممشوق رأته في حياتها؟ وقد كانت على حق في قولها، لكنه كره ذلك الرجل بالرغم من رشاقتها، ولكم تمنى لو تتوقف أمه عن تسميته بالعم «جو»، فهو لم يكن من أقاربهم من الأصل، وإنما كان مجرد صديق للعائلة، وقد اعتاد على التردد على الفندق لزيارة والدته، وهذا المأفون هو من نصحتها ببناء الفندق اللعين بهذا المكان بعدما باعت المزرعة، وهذا سبب آخر ليكرهه «نورمان»!

الغريب أن أمه - التي تكره الرجال كلهم - صارت لعبة في يد العم «جو» هذا.. لعبة يتحكم فيها كيفما شاء.. كانت تؤمن به وتنفذ نصائحه وتتبع رغباته، على الأقل حتى مات فجأة!

مات منذ عشرين سنة كاملة!

لكم يمر الوقت سريعًا!

لكن الوقت على أية حال مسألة نسبية، كما قرأ لـ «آينشتاين» ذات مرة.. لديه الكثير من الكتب عن هذا الموضوع، وقد قام بقراءتها كلها - دون علم والدته طبعًا، التي تظن أن مثل تلك الكتب تخالف الدين والإيمان.

لكنه يعرف أن هذا ليس هو السبب الحقيقي في مهاجمتها لما يقرؤه!

السبب الحقيقي هو أنها لا تريد أن يقرأ، فالقراءة تنمي عقله وتقوي من شخصيته، وبالتالي سُخرجه عن طاعتها فلا يصبح طفلها الصغير العزيز

المدلل!

يا للسماء! صار يشعر بأنه روحين في جسد واحد.. طفل صغير، وشاب ناضج، والاثنتان محبوبتان مع بعضهما داخل نفس الجسد!

عندما يفكر في أمه والتحدث معها يشعر بأن زمام الأمور يصبح في يد الطفل الصغير، المحدود التفكير، لكن بمجرد أن يصبح بمفرده لا يصاحبه إلا نفسه وكتبه، حتى يتسلم الشاب الناضج دفة الأمور.. ولولا وجود ذلك الشاب الناضج بداخله، لما مات العم «جو» منذ عشرين سنة خلت، ولما تمكن من التخلص من جثة تلك الفتاة بالأسبوع الماضي.

مد أنامله تتلمس حد شفرة الموسي الذي يخلق به فشعر بها حادة للغاية، ولو لم ينتبه سيجرح نفسه بشدة.

نعم، يجب أن يكون منتبهاً، ويجب كذلك أن يقوم بإخفاء الموسي بعناية بعدما ينتهي حتى لا تعثر عليه أمه، فلم يعد بوسعه الثقة فيها، فلو حدث وصارت أداة حادة كهذا الموسي بحوزتها...!

لم يتبادلا الحديث منذ ليلة موت تلك الفتاة!

لا عجب في هذا، فحديث مثل هذا لن يخل من حرج لكليهما، ويبدو أن أمه لاحظت هذا هي الأخرى، فقد عمدت على تجنب اللقاء به، وصارت تقضي معظم يومها وحيدة داخل غرفتها.

وحيدة، لا تصاحبها إلا أفكارها وثيابها وأثاث غرفتها العتيق.

شعر بالامتنان لأنها فعلت هذا، فالقتل جريمة مخيفة، ومهما كان المرء مريضاً في عقله، فلا يد له من أن يشعر - حتى ولو شعور غريب مبهم - بمدى فداحة فعلته! هذا هو ما قرأه بتلك الكتب على الأقل، وهو يشعر أن هذا كلام منطقي.

شعر «نورمان» بالامتنان لصمتها وعزلتها، لأنه هو الآخر يعاني مثلها، ليس من وخر الضمير وإنما من الرعب والهلع!

كل لحظة تمر به يتوقع حدوث كارثة فيها، وكلما سمع صوت نفير سيارة بالخارج، شعر بقلبه يقع بين قدميه حرفياً!

بمجرد أن انتهى «نورمان» مما يفعله حتى تناهى إلى مسامعه صوت سيارة تقف بالخارج، فمسح وجهه في عجالة، قبل أن يختلس النظر من نافذة المكتب، ولمح سيارة خضراء ذات لوحة أرقام من ولاية «تكساس». لاحظتها تذكر «جين ويلسون»، ألم تكن من ولاية «تكساس» هي الأخرى؟



شعر بجسده يرتجف وهو يخرج من المكتب متظاهراً بالهدوء، لكنه أخذ يراقب الرجل الذي خرج من السيارة في دقة. كان رجلاً طويل القامة، أسمر، وهزيل، وقد وضع على رأسه قبعة أخفت جبينه. حيّاه الرجل بقوله:  
- مساء الخير.

حرك «نورمان» قدميه في قلق مجيئاً:

- مساء النور.. هل أستطيع مساعدتك؟

- هل أنت صاحب هذا الفندق؟

- نعم أنا.. هل تريد حجرة للمبيت يا سيدي؟

- لا، أريد فقط بعض المعلومات بعد إذتك.

ابتلع «نورمان» ريقه وقد تزايد التوتر بداخله، لكنه لم يسمح لأي من هذا بالظهور عليه وهو يجيبه:

- طبعاً.. ما دام بوسعي المساعدة فلن أتأخر.. ماذا تريد أن تعرف؟

- هناك فتاة أبحث عنها!

هنا وثب قلب «نورمان» من مكانه!

شعر أن الوحش الذي يوجد داخله يتشاءب ويزأر.. شعر بالسكون من حوله يضغط على أعصابه حتى كاد أن يصرخ، بينما استمر الرجل في حديثه:

- هي فتاة في العشرينات من عمرها، تدعى «ماري كرين» من بلدة «فورت ويرث بولاية تكساس»، فهل مر عليك مثل هذا الاسم في سجل النزلاء الخاص بفندقك؟

شعر «نورمان» بحمل ثقيل ينزاح من فوق كاهله، حتى كاد يقهقه ضاحكاً.. رباه.. يا له من سؤال بسيط ولن تكون إجابته صعبة.. أجاب بثقة:

- لا.. لم يمر بنا أي فتاة تدعى كذلك.

- هل أنت متأكد؟

- بكل تأكيد.. العمل قليل هذه الأيام، لدرجة أنني أكاد أذكر أسماء جميع من مروا بنا.

- المفترض أن تكون مرت من أسبوع.. مساء السبت أو صباح الأحد مثلاً.

- مميم.. لم نستقبل أحدًا خلال هذين اليومين، فقد كان الجو سيئًا للغاية ومليئًا بالعواصف والأمطار.

- متأكد؟ الفتاة التي أقصدها في السابعة والعشرين من عمرها، ذات شعر أسود وعينين زرقاوين.. طولها حوالي خمسة أقدام ونصف.. كانت تقود سيارة ماركة «بلايماوث» موديل ١٩٥٣ ورقم لوحتها هو...

وهنا توقفت أذن «نورمان بيتس» عن العمل، فلم يسمع حرقًا مما قاله الرجل بعدها، فقد انشغل بكل ما دار برأسه من أفكار.. أخذ يسأل نفسه لماذا قال للرجل أنه لم يتلقَ أي زائرين خلال يومي السبت والأحد الماضيين؟ الأوصاف التي ذكرها تنطبق بالحرف على «جين ويلسون» هذه، ويبدو أن هذا الرجل يعرف عنها الكثير، ويبدو أنها انتحلت اسم «جين» هذا بينما هي بالأصل تدعى «ماري»، أو ربما العكس، ويكون اسمها الحقيقي هو «جين»!

لكن الرجل لن يستطيع إثبات أنها جاءت لهذا الفندق، ولو استمر «نورمان» في الإنكار، سينتهي كل شيء بسلام!

قال «نورمان»:

- للأسف لا أعتقد أنني أستطيع مساعدتك يا سيدي، فلم تمر بي أي عميلة بهذا الاسم.

- مميم.. ألم تمر بك أية فتاة بتلك المواصفات حتى؟ فربما تكون انتحلت اسمًا آخر غير اسمها، وربما تكون قد عمدت إلى ارتداء باروكة شعر شقراء أو صهباء مثلًا لتغير من شكلها.

- لا أظن أن أي أنثى بذلك السن والمواصفات قد مرت بي منذ فترة طويلة. أنا لا أنسى وجهًا يمر بي.

نظر له زائره بصمت للحظة، ثم أردف:

- حسنا.. تبدو واثقًا من نفسك، لكن ربما تكون قد تنكرت في شكل امرأة عجوز مثلًا. أيمكنني أن ألقى نظرة على دفتر تسجيل الوصول الخاص بالفندق؟

ابتلع «نورمان» ريقه في بطاء وهو يحاول التحكم في زعره، ووضع يده على الدفتر بينما يجيبه:

- آسف يا سيدي، لا أستطيع السماح لك بهذا.

نظر له الرجل للحظة صامتًا، قبل أن يمد يده في جيبه وهو يقول:

- حسناً، ربما يقنعك هذا بتغيير رأيك.

أخرج يده من جيب معطفه وهي تحمل بطاقة وضعها أمام عينا «نورمان»، فقرأ فيها: «ميلتون أربوجاسيت».. بوليس سري. شركة التأمينات الاجتماعية والتجارية.

هتف «نورمان»:

- بوليس سري؟

- نعم، وقد جئت بسبب مهمة خطيرة تقع على عاتقي يا سيد...

- «بيتس».. «نورمان بيتس».

- حسناً.. اسمعني جيداً يا سيد «بيتس». يجب أن أصل لمكان تلك الفتاة لأنها على علاقة بجريمة خطيرة للغاية، ولو لم توافق على أن تسمح لي بتفقد دفتر النزلاء، سأضطر أسفاً للاستعانة بالشرطة!

كان «نورمان» يجهل كل شيء له علاقة بالإجراءات البوليسية والقضائية.. صحيح أنه يعرف الكثير من المعلومات عن حضارة «المايا»، وعن علم النفس، وعن البحار والمحيطات وما يجول في أعماقها من كائنات غامضة، لكن بالنسبة لموضوع الشرطة وإجراءاتها هذا، فهو أجهل من دابة، لكنه يعرف شيئاً واحداً مهماً، هو أنه يجب أن يتفادى تدخل الشرطة في شئونه بأي ثمن!

تردد للحظة، ثم سأل الرجل من دون أن يرفع يده من فوق الدفتر:

- ما سبب كل هذا؟ ماذا فعلت تلك الفتاة على أي حال؟!

- سرقت سيارة.

- أوه، حسناً..

شعر بالارتياح.. لقد ظن بالبداية أنها قد ارتكبت جريمة خطيرة تستوجب تحقيقاً دقيقاً.. هكذا رفع يده من فوق الدفتر وهو يقول:

- حسناً.. ها هو الدفتر.. معذرة، لكنني أردت فقط أن أتأكد من أنك تتمتع بسلطة رسمية لفعل ذلك.

ظن «نورمان» أن الرجل سيندفع نحو الدفتر ليفتشه لكنه لم يفعل، وإنما أخرج من جيبه مظروفاً ووضعه أمامه، ثم أخذ يقلب صفحات الدفتر، وبمر بأنامله على الأسماء المسجلة فيه، بينما أخذ «نورمان» يراقبه سراً، ولاحظ أن إصبعه توقف لفترة طويلة أمام أحد الأسماء!

- ألم تخبرني أنه لم يأت أحد للفندق في يومي السبت والأحد.

أجابه «نورمان» بصوت متحشرج:

- ربما نكون قد استقبلنا نزيلاً أو اثنين.. ما عنيته لحظتها أن العمل كان ضعيفاً للغاية هذين اليومين.

- ماذا عن «جين ويلسون» من «سان أنطونيو» هذه؟ لقد سجلتها مساء السبت.

- مممم.. أوه، نعم.. تذكرتها الآن.

شعر «نورمان» من جديد بقلبه يشب بين ضلوعه. أدرك أنه أخطأ حينما فكّر في التظاهر بأنه لم يميز الأوصاف التي ذكرها له الرجل.. لقد بالغ في الاستهانة بذكاء زائره، وليكون هذا سبباً في المزيد من الشكوك.. المشكلة أنه لا سبيل لإصلاح هذا الخطأ الآن.

بم يستطيع أن يجيب هذا البوليس السري الآن دون أن يثير ريبتة أكثر؟

لكن الرجل - لحسن الحظ أو شؤنه - لم يُلقِ المزيد من الأسئلة، بل وضع المظروف الذي أخرجه من جيبه بجوار صفحة الدفتر، وأخذ يقارن بين الخطيين في تمعن شديد.

إذن هذا هو سبب إحضاره لهذا الخطاب معه! أن يقارن بين الخطيين!

وها قد عرف رجل البوليس السري كل شيء!

وعندما رفع «أربوجاسيت» عينيه من فوق الدفتر، فوجئ «نورمان» بنظراته صارت باردة كالقولاذ وهو يقول:

- هي! الخط متطابق!

- هـ... هل أنت متأكد؟

- مائة بالمائة! لدرجة أنني سأقوم بتصوير صفحات هذا الدفتر.. بل ربما أفعل ما هو أكثر لو أنك امتنعت عن قول الحقيقة.. لماذا كذبت عليّ من قبل حين قلت أنك لم ترها؟

- أ... أنا.. أنا لم أكذب.. كل ما في الأمر أنني نسيت.

- لكنك أخبرتني أنك قوي الذاكرة ولا تنسى وجهًا يمر بك!

- حسناً.. هذا صحيح بصفة عامة، لكن...

قاطعه «أريوجاسيت» وهو يشعل سيجارة:

- أثبت لي صدقك إذن بقول الحقيقة! وبهذه المناسبة يجب أن أخبرك - لو لم تكن تعرف تلك المعلومة مسبقًا - أن جريمة سرقة السيارات من الجرائم التي يعاقب عليها القانون في كل الولايات الأمريكية، وأنت بالتأكيد لن ترغب في أن تصبح شريكًا في مثل تلك الجريمة، صح؟

- شريك! أنا لم أشارك في أية سرقة! كل ما حدث أن الفتاة أتت بسيارتها واستأجرت غرفة حيث قضت ليلتها، ثم انصرفت في الصباح التالي مباشرة، كيف أكون شريكها إذن؟

- امتناعك عن الإدلاء بكل ما لديك من معلومات عن الموضوع يجعلك شريكًا في نظر القانون.. والآن فلنتحدث بصراحة.. أنت قابلت الفتاة، فكيف كانت تبدو؟

- كما وصفتها أنت منذ قليل على حد ما أتذكر.. كانت الأمطار شديدة يومها فلم أستطع تأملها جيدًا.

- هل قالت أمامك أي شيء؟ هل دار بينكما أي حديث؟

- تحدثنا عن جو تلك الليلة السيئ.. أعتقد.. لا أتذكر بالكامل فقد حدث كل شيء سريعًا.

- هل بدا عليها أنها تهرب من شيء ما؟ أو كانت تصرفاتها مريبة؟

- على الإطلاق.. بدت طبيعية للغاية.. كانت كأني نزيل آخر.

أطفأ «أريوجاسيت» سيجارته في المطفأة الموجودة على المكتب وهو يقول:

- حسنًا.. معنى هذا أنها لم تُثر أي شكوك بداخلك، كما لم تُثر شفقتك؟ أقصد ألم تشعر نحوها بأي شيء؟

- لا!

- وما دام هذا هو ما حدث، لماذا إذن حاولت إخفاء أمر قدومها إلى هنا وتستر عليها؟

- لم أحاول التستر على أحد يا سيدي! كل ما حدث هو أنني نسيتها!

شعر «نورمان» أنه يتورط أكثر فأكثر بالموضوع، كأن يديه تنسحبان داخل عشب دبابير دون تحكم منه! لكنه صمم على عدم الوقوع في الفخاخ المتوالية التي يضعها المفتش السري أمامه، فقال:

- ماذا تقصد؟ أعتقد أنني ساعدتها على سرقة السيارة؟
- أنا لا أتهمك بشيء يا سيد «نورمان».. كل ما هناك أنني أريد الوصول للحقيقة.. تقول أنها كانت بمفردها حين أتت؟
- نعم.. بمفردها.. استاجرت الغرفة، ثم قضت ليلتها، ثم رحلت بالصبح التالي. لا بُدَّ أنها الآن على بعد آلاف الأميال من هنا.
- ابتسم «أربوجاسيت» وهو يقول:
- احتمال.. لكن فلنتناول القصة تدريجيًا.. قلت أنها رحلت بمفردها، صح؟ أتتذكر متى رحلت بالضبط؟
- لا أعرف.. لقد رحلت صباح الأحد.. وكنت وقتها نائمًا بالمنزل.
- معنى هذا أنك لست متأكدًا من نقطة رحيلها بمفردها؟
- لا أستطيع التأكد على وجه اليقين لو كان هذا ما تعنيه.
- وبمساء السبت الذي كانت موجودة فيه هنا، هل حدث أن استقبلت الفتاة أي زائرين؟
- كلا..
- متأكد؟
- أكيد.
- هل رآها أي شخص غيرك هنا ليلتها؟
- لا.. كانت هي النزيلة الوحيدة.
- وكنت أنت تعمل بمفردك طبعًا؟
- صح.
- وقضت الفتاة الليلة كلها بغرفتها؟
- نعم.
- الليلة كلها؟ متأكد؟ لم تستخدم الهاتف حتى؟
- لا.. لم تستخدمه.
- إذن فأنت الوحيد الذي علم بوجودها هنا؟

- أخبرتك هذا قبلاً.
- وماذا عن السيدة العجوز؟ ألم ترها؟
- أي عجوز؟
- التي تقيم بالمنزل.. خلف الفندق.
- وللمرة الثالثة شعر «نورمان» بقلبه يضطرب بين ضلوعه.. كان علي وشك إنكار أن هناك أي عجوز، لكن محدثه لم يدع له الفرصة لفعلها عندما أكمل:
- لقد رأيتها من نافذة إحدى الغرف وأنا قادم، فمن هي؟
- لم يجد «نورمان» مفراً من الإجابة:
- إنها والدتي، لكنها مريضة.. تقضي طول الوقت بالغرفة فلا تخرج منها منذ فترة.
- إذن هي لم تر الفتاة؟
- لا.. إنها مريضة كما أخبرتك، وكانت بغرفتها طيلة الوقت، حتى عندما تناولنا طعام ال...
- كانت فلتة لسان لم ينتبه لها «نورمان» إلا بعد فوات الأوان، فقد كان «أربوجاسيت» يلقي سيلاً من الأسئلة وراء بعضها البعض بقصد إرباكه، وهو ما نجح فيه بالكامل. كان حديث «أربوجاسيت» عن الأم مفاجأة لـ «نورمان»، الذي صار كل همه الآن هو حمايتها ودفع الخطر بعيداً عنها!
- سمع «أربوجاسيت» يسأله بهدوء:
- إذن فقد تناولت العشاء بالمنزل مع «ماري كرين»؟
- كا... كانت مجرد شطائر وقهوة.. لم يكن عشاءً بالمعنى المفهوم.. اعتقدت أنني ذكرت لك هذا.. لقد سألتني الفتاة أين يمكنها أن تصيب شيئاً من الطعام، فقلت لها في بلدة «فيرفيل»، لكنها تبعد نحو عشرين ميلاً، وكان المطر شديداً وقتها، فشعرت بالشفقة نحوها وذهبت بها للمنزل حيث قدمت لها عشاءً مرتجلاً.
- وفيم تحدثتما أثناء هذا العشاء المرتجل؟
- لم يدر بيننا أي حديث.. أخبرتك أن أمي مريضة، فلم نشأ إزعاجها.. لقد اشتد عليها المرض بالفترة الأخيرة، وربما كان هذا هو ما يزعجني ويجعل ذاكرتي مضطربة لدرجة نسيان ذكر كل شيء بالبداية.

- وهل نسيت ذكر أي شيء آخر؟ فلنفترض أنك ذهبت من المنزل مع الفتاة لتحظيا ببعض المرح مثلًا؟

- كلا! لماذا تقول شيئًا كهذا؟ لن أجب على أي سؤال بعد الآن!

تناول «أربوجاسيت» قبعته ببرود وهو يقول:

- حسنًا.. سأنصرف، لكن بعد التحدث مع والدتك.. ربما تكون قد لاحظت شيئًا غاب عنك.

- قلت لك أنها لم تر الفتاة.. ثم إنها مريضة وليس بوسعك التحدث معها.. أنا غير موافق!

- لا بأس.. في هذه الحالة سأنصرف، لكنني سأعود بعد أن أحضر معي أمرا من السلطات المختصة لاعتقال والدتك واستجوابها، ما دمت ترفض التعاون معي.

كانت خدعة من «أربوجاسيت»، لكنها انطلت على «نورمان» فلم يفطن إلى هذا، فأجابه متلعثمًا:

- لا أحد يستطيع اتهامنا بالاشتراك في سرقة سيارة قديمة.

قاطعه «أربوجاسيت» برفق وهو يشعل سيجارة جديدة:

- واضح أنك لا تستوعب الموقف بالكامل.. الموضوع ليس موضوع سيارة على الإطلاق. أظن أنني يجب أن أشرح لك الموضوع. «ماري كرين» هذه قامت بسرقة أربعين ألفًا من الدولارات من أحد مكاتب السمسرة ببلدة «فورت ويرث»!

- أربعون ألفًا!

ردد «نورمان» المبلغ وراءه مذهولًا.

- نعم.. لقد سرقت المبلغ وهربت.. الموضوع خطير. أية معلومات أتوصل إليها لها أهميتها. هذا هو سبب إصراري على مقابلة والدتك، ولا بُدَّ من أن أستجوبها، سواء شئت أنت أم أبيت!

صمت «أربوجاسيت» للحظة قبل أن يكمل:

- أعدك ألا أزعجها بقول شيء لا ينبغي قوله، لكن لو أصررت على الرفض لن أجد مفرًا من الانصراف، لكن سرعان ما سأعود مع العمدة لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة!



صاح «نورمان» وهو يهز رأسه:

- لا! لا داعي لكل هذا!

بدأت عليه علامات التردد؛ فمبلغ أربعين ألفاً هذا مبلغ لا يستهان به، وبوسع الرجل أن ينفذ تهديده فيعود مع العمدة بعد إصدار إذن التفتيش والاستجواب، وربما الاعتقال! لا حاجة إذن لمعارضته لأن هذا ليس في مصلحته، ولا في مصلحة والدته!

أجاب:

- حسناً.. بوسعك التحدث معها، لكن يجب أن تسمح لي بالذهاب للمنزل لأعدها لاستقبالك، حتى لا يكون قدومك مفاجأة لها تؤثر على أعصابها، فهي عجوز للغاية وأعصابها خفيفة تتأثر بأقل مكدر.

اتجه نحو الباب وهو يكمل:

- ابق هنا، في حال أتى أي من الزائرين.

أوماً «أريوجاسيت» برأسه موافقاً، بينما انصرف «نورمان» مضطرباً  
الأعصاب يغطيه العرق، بالضبط كما كان يغطيه تلك الليلة!

فتح باب البيت، وارتقى درجات السلم، ووصل لغرفة أمه. كان ينتوي التحدث إليها بكلمات هادئة مطمئنة حتى لا تجزع وتفقد تماسكها، لكن بمجرد دخوله ورؤيته لها وهي تجلس بجوار النافذة بطريقتها المعتادة حتى شعر بقلبه ينخلع.. غمرته الشفقة تجاهها ولم يدرك نفسه إلا وهو يلقي برأسه على حجرها، ووجد الكلمات تناسب من بين شفثيه تحكي كل شيء بصوت خنقته العبرات والانفعال. أدهشه أنها لم تظهر أي علامة من علامات الدهشة وهي تعلق:

- لا تقلق يا بني.. دع الأمر كله لي.

- يكفي أن تقولي له إنك لا تعرفين شيئاً عن الموضوع يا أمي وسيذهب في سبيله.

- لكنه سيعود من جديد.. إن مبلغ أربعين ألفاً ليس مبلغاً بسيطاً. لماذا لم تخبرني بموضوع النقود قبل الآن؟

- لم أكن أعلم عنها شيئاً أقسم لك! أول مرة أعرف بموضوع النقود كان منه منذ لحظات.

- أصدقك.. لكنه لن يصدقك أو يصدقني، بل ربما يظن أننا اقتسمنا المبلغ مع الفتاة، أو ربما يذهب به الظن لأننا قتلناها لنستحوذ على المبلغ كله!

- وماذا ستفعلين إذن؟!

- سأرتدي ملابستي، فيجب أن أستعد لاستقبال الزائر، أليس كذلك؟ اذهب له وأخبره أن يأتي ريثما أستعد.

- لا! لا أستطيع أن أفعل هذا.

شعر بضعفه يتعاضم بداخله.. شعر بنفسه عاجزًا عن الحركة.. تمثني لو يفقد الوعي!

ولكن حتى لو حدث هذا فلن يمنع ما هو على وشك أن يحدث.. فبعد بضع دقائق، لو لم يظهر «نورمان» أمامه، سيميل «أربوجاسيت» من الانتظار، وسيقرر أن يأتي من تلقاء نفسه، سيفتح الباب، يرتقي درجات السلم كما فعل هو منذ دقائق معدودة، وعندئذ...

- أماه، يجب أن تستمعي لي!

لكنها لم تُصغ له.. كانت قد قامت من مجلسها بالفعل وشرعت في استبدال ملابسها، قبل أن تستكمل زينتها وتستعد لزائرها.. بعدما فرغت من كل هذا، التفتت له مبتسمة، ثم همت بهبوط السلم.. وفي تلك اللحظة ارتفعت دقات على الباب!

رغب «نورمان بيتس» في أن يصرخ محدثًا، لكنه وجد صوته منحسبًا داخل حلقه، بينما ارتفع صوت أمه تقول في مرح مبالغ فيه:

- أنا آتية.. لحظات فقط.

فتحت أمه الباب، ودخل السيد «أربوجاسيت» للغرفة، نظر إليها، ورفع رأسه، وكان على وشك أن يقول شيئًا.. وكانت أمه تنتظر هذا.. كانت تنتظر اللحظة التي سيرفع فيها رأسه!

ويلمح البصر، مدت يدها التي تألق بها شيء لم يدرك «نورمان» كنهه لأول وهلة، قبل أن تهبط يدها، ثم ترتفع، ثم تهبط من جديد. لم يستطع «نورمان» أن يفتح عينيه وينظر للمشهد، ولم يكن بحاجة للنظر من الأصل. لقد علم بما جرى منذ ثواني.

عرف أن أمه قد عثرت على موسي الحلاقة الخاص به!

## الفصل العاشر

- ها هو مفتاح الغرفة يا سيدي.. سيكون أجرها عشرة دولارات لأنها بفراشين.

ناول «نورمان» النزيل العجوز مفتاح الغرفة مبتسمًا، فأجابته الزوجة وهي تمد يدها في حقيبة يدها:

- أعتقد أن معي ورقة بعشرة دولارات.. لحظة.. ها هي!

وضعت الورقة المالية على المكتب وهي تنظر إلى «نورمان» مبتسمة، لكن ابتسامتها تلاشت على الفور عندما رأت وجه الممتع، فهتفت منزعجة:

- ماذا بك؟ هل أنت مريض؟ تبدو شاحبًا للغاية يا بني.

- لا لا.. أنا بخير.. كل ما هناك أنني مرهق قليلًا. وعلى كل حال فقد انتهت نوبتي وسأنصرف.

سألته السيدة مستغربة:

- تنصرف في هذه الساعة المبكرة؟ كنت أظن الفنادق تظل مفتوحة أربعًا وعشرين ساعة.

- إننا نعاني من بعض الركود هذه الفترة، ثم إن الساعة قد صارت العاشرة.

- حسنًا.. ليلة سعيدة.

هكذا حितه السيدة ذات الابتسامة اللطيفة قبل أن تنسحب مع زوجها تجاه غرفتهما. همَّ «نورمان» بإطفاء اللوحة المضاءة بالخارج وغلق المكتب، لكنه قرر أن يفعل هذا بعدما يتناول جرعة من الخمر. شعر أنه بحاجة شديدة لجرعة كبيرة من الخمر ليتمكن من الوقوف على قدميه.

لقد تناول بالفعل عدة جرعات من الزجاجة منذ عاد للمنزل، ولولا هذا لما استطاع الوقوف على قدميه حتى الآن، بينما تلك الجثة ملفوفة داخل السجادة المرتمية هناك في بهو المنزل!

نعم.. لقد ترك الجثة هناك دون أن يفعل ما هو أكثر من إلقاء طرفي السجادة فوقها!

لم يستطع فعل ما هو أكثر من هذا في ضوء النهار، فالنزلاء قد يصلون في أي لحظة.. أما الآن فقد حل الليل، وفرغت الطرقات من البشر، ويتوجب عليه أن يعود للبيت لمواجهة الموقف!

طلب من أمه ألا تلمس شيئًا، وكان متأكدًا من أنها ستنفذ طلبه هذه المرة.  
يا لها من كائن غريب! تثور فجأة، وعندما تبلغ ثورتها ذروتها، تعود فتهدأ  
وتستكين، وتترك له الأمور لكي يتصرف كما يشاء.

طلب منها العودة لغرفتها وأن تأوي لفراشها فلا تقترب من النافذة، ثم أغلق  
باب البيت وذهب مباشرة للفندق ليستأنف عمله. أما الآن، فها هو يغلق باب  
المكتب ويخرج في جنح الظلام.

شاهد سيارة «أربوجاسيت» قابعة مكانها كما تركها صاحبها، فأخذ يفكر، ماذا  
سيحدث لو ركب تلك السيارة فانطلق بها بعيدًا.. بعيدًا عن كل شيء..  
الفندق.. أمه.. وعن ذلك الشيء الراقد بلا حركة أسفل السجادة ببهو  
المنزل!

سيطرت عليه هذه الفكرة للحظة، وكان على وشك أن يتجه للسيارة لفعالها.  
لكنه لم يلبث أن هدأ، فهز كتفيه ورأسه نفيًا.

- الفرار لن يحل مشكلتك يا أحمرق. مهما ابتعدت فلن تكن بمأمن طالما  
الجنة هناك، وطالما أمك هناك!

سمع صوت أمه يتردد داخل رأسه، وأدرك أنها محقة.  
تفقد الطريق أمامه، فوجده خاليًا.

نظر نحو نوافذ الغرفتين ١ و٣، فاطمئن أنهما منغلقتان وأن النزلاء قد ناموا.  
ركب سيارة «أربوجاسيت»، وأخرج المفاتيح التي وجدها في جيب معطف  
هذا الأخير، وانطلق بالسيارة ببطء شديد في الطريق الضيق الذي يقود  
للبيت.

كان الظلام يخيم على كل الغرف، فلا بُدَّ أن أمه نائمة هي الأخرى، أو على  
الأقل تتظاهر بأنها نائمة!

المهم ألا يجدها في طريقه!

وجودها يوتره ويشعره أنه طفل صغير لا حول له ولا قوة.. بينما المهمة التي  
في انتظاره تحتاج لرجل ناضج قوي يعرف ما يفعله!

حمل «نورمان» السجادة بما فيها وحشها داخل حقيبة السيارة، ولحسن  
الحظ كانت السجادة قد امتصت ما سال منه من دم فلم يبق منه أثر على  
أرضية البهو. أغلق باب حقيبة السيارة، ثم اتخذ مكانه خلف المقود. تأمل

الدمية الصغيرة المعلقة من مرآة السيارة والتي تمثل ميكي ماوس، ثم ابتسم وهو يمد يده نحو عجلة القيادة لديرها.

قاد السيارة في توتر نحو الغابة، ودار بها حول المستنقع ليبعد عن المكان الذي أغرق فيه سيارة الفتاة من قبل، ثم كرر ما فعله في المرة الأولى بالحرف!

وقف على حافة المستنقع يراقب السيارة وهي تغطس في المياه الموحلة، فشعر بها تستغرق دهرًا. لحظات رهيبة طويلة مرت به وهو يقف متجمدًا مكانه، بينما الكتلة الحديدية تهبط رويدًا رويدًا وسط السطح الداكن.

أخيرًا اختفت السيارة بمحتوياتها تحت الماء، وذهبت حيث ذهبت السيارة الأولى والفتاة والأربعين ألف دولار! وبمناسبة ذكرها، أين كان المبلغ؟

الأکید أنه لم يكن في حقيبة يد الفتاة، كما لم يكن بحقيبة ملابسها أو بأي مكان بغرفتها. لا بُدَّ أنها كانت قد تركته داخل سيارتها، لكن من يترك مثل هذا المبلغ داخل سيارة طيلة الليل!

كان ينبغي عليه أن يقوم بتفتيش السيارة قبل إغراقها.. يا له من أحمق! لكن عزاءه الوحيد أنه لم يكن يعرف بوجود المبلغ من الأصل، كما لم يكن هناك متسع من الوقت أمامه، فقد حدث كل شيء سريعًا.

ومن يدري، ربما لو كان قد عثر على المبلغ لفعل به حماقة تؤدي به! بعد دقائق قليلة كان «نورمان» يسير على قدميه في بطاء عائذًا للفندق، وخطر له أنه ينبغي أن يعود من جديد في الصباح لهذا المكان لكي يزيل كل آثار عجلات السيارة من على الأرض حتى لا يلاحظ أحد أن آثار عجلاتها تنقطع عند المستنقع.

لكن هذا ليس مهمًا الآن.. المهم أن يراقب أمه!

عليه أن يواجه الحقيقة.. لا بُدَّ أن هناك من سيأتي باحثًا عن هذا الشرطي السري.. فشركة التأمينات لن تدع مندوبها يختفي بتلك البساطة دون أن تبذل شيئًا من الجهد بحثًا عنه. سيقومون بالكثير من التحريات لمعرفة ملابس اختفائه.. ومن يدري، فربما كانت الشركة على اتصال به طيلة الأسبوع الماضي وعرفوا بتحركاته!

كما أن هناك مكتب السمسرة الذي سرقت منه النقود! لن يتوقفوا عن البحث عن الأربعين ألف دولار الخاصة بهم. لا بُدَّ من حدوث استجواب،

وستلقى الكثير من الأسئلة إن عاجلاً أو آجلاً!

بعد أيام..

أو بعد أسبوع ربما كما حدث مع الفتاة. لكنه سيحدث بالنهاية!

لكن «نورمان» لن يتلثم هذه المرة ولن يقع بالخطأ الذي وقع فيه بالمرّة السابقة.. لن ينزلق لسانه وسط الاستجواب كما حدث مع الشرطي السري هذا.. يجب أن يستعد جيّداً.

ستكون شهادته واضحة، وسيقوم بترديدها ليلاً ونهاراً حتى يحفظها عن ظهر قلب، ولن يسبقه لسانه لذكر ما لا يريد الإدلاء به.

سيقول أن الفتاة قد أتت للفندق مساء السبت، لكنه لم يشك في أمرها على الإطلاق، ثم رحلت بالصباح التالي دون أن يتبادلا أي أحاديث.. نعم.. يجب ألا يذكر كلمة واحدة عن عشائهما السريع سوياً بالمنزل.

سيقول كذلك أن السيد «أربوجاسيت» قد جاءه بعد أسبوع يسأله عن الفتاة، فأخبره بكل ما لديه من معلومات، وأن «أربوجاسيت» قد أبدى أشد الاهتمام عندما عرف من «نورمان» أن الفتاة استفسرت منه عن الطريق الذي يقود إلى «شيكاغو»، وكم يمكن أن يستغرق من وقت بالتقريب بالسيارة.

نعم! هذا هو ما حدث. كان اهتمام الشرطي السري شديداً بتلك النقطة، لدرجة أنه تركه على الفور واستقل سيارته قبل أن ينطلق بها. متى حدث هذا؟ بعد موعد العشاء بقليل في مساء السبت. هذا هو كل ما سيقوله. لن يزيد عنه ولو بكلمة!

سيذكر مجرد حقائق بسيطة مباشرة، دون أي ذكر لأي من التفاصيل الجانبية التي قد تثير الشك والريبة في نفوس من يستجوبونه. مجرد فتاة عادية أقامت بالفندق ليلة ثم انصرفت، وهو لم يكن يعرف أنها هاربة من شيء ما، وشرطي سري جاء باحثاً عن بعض المعلومات عن تلك الحسناء الهاربة، قبل أن ينطلق في أثرها. سيحكي كل هذا بهدوء ودون أن يضطرب، وليس هناك أي شيء يدعو للقلق أو الخوف من تدخل أمه!

فتح باب المنزل، ليقابله صمت تام لا يعكسه إلا أصوات المساء المعتادة من أصوات البوم والضفادع الموجودة بالخارج. أغلق الباب من خلفه، وأشعل ضوء الصالة ليهتدي به وهو يتجه نحو السلم الذي يقود للدور العلوي.

ارتقى درجات السلم في بطاء متأن، ودلف لحجرتها ليجدها ممتددة على فراشها ساكنة. عندما رآته همست:

- أين كنت يا «نورمان» طيلة هذا الوقت؟ لقد شعرت بالقلق عليك!
- أنت تعرفين جيدًا أين كنت يا أمي، فلا داعي للتظاهر بالبراءة!  
تحشرج صوتها وهي تقول كأنما تشعر بالذنب:
- وهل كل شيء على ما يرام؟
- أكيد.. ولماذا لن يكون؟
- ثم استجمع شجاعته وهو يستطرد:
- أريد أن أطلب منك شيئًا مهمًا. يجب أن تتركي غرفتك لأسبوع أو ما شابه.  
بدت في عينيها نظرة متوحشة وهي تسأله:
- ماذا تقول؟!
- قلت لك أنك ينبغي أن تتركي هذه الغرفة لبعض الوقت.. أسبوع مثلاً.
- أجننت؟ هذه غرفتي!
- أعرف.. لا أطلب منك فعل هذا للأبد. مجرد فترة قصيرة حتى تهدأ الأمور.
- لكن ما الداعي لهذا؟
- اسمعيني يا أمي.. لقد جاءنا زائر اليوم.
- هل يجب أن تذكرني بهذا؟
- نعم، يجب أن أفعل، لأنه لا بُدَّ أنه سيأتي من يبحث عنه، وسأجيب وقتها بأنه جاء وانصرف.
- طبعًا هذا ما يجب أن تقوله يا بني، وهكذا سينتهي الأمر.
- أتمنى، لكن ينبغي ألا أترك شيئًا للصدف، واحتمال أن يقوموا بتفتيش البيت.
- فليفعلوا.. لن يجدوه.
- ولا يجب كذلك أن يجدوك! لا يجب أن يراك أحد.. لقد رآك ذلك الشرطي السري اليوم من نافذة غرفتك.. وربما يراك من سيأتي باحثًا عنه.. من الأفضل لمصلحتنا ألا يراك أحد!

- وماذا تنتوي أن تفعل للوصول لهذا؟ ربما تريد أن تُلقني بي أنا الأخرى في المستنقع يا «نورمان»، صح؟

- أماه!

انفجرت ضاحكة. بدت ضحكتها طويلة كثيفة كنعيق البوم الذي يراه بالغابة المحيطة بالمستنقع. كيف عرفت ما يدور بعقله؟!

- كلا يا فتى.. لن أذهب لأي مكان.

- بل ستفعلين.. وسأغلق عليكِ باب القبو، وسأسدل عليه ستارًا!

- «نورمان»! أنا أرفض حتى مناقشة هذا الموضوع! لن أتحرك من غرفتي! كيف تجرؤ على التحدث معي بتلك الطريقة!

- ما دمتي ترفضين الذهاب بهدوء إذن سأخذك لهنالك عنوة!

- لا يا فتى.. لن تجرؤ على...

لكنه لم يتركها تنهي جملتها، فحملها بين ذراعيه. كان جسدها أخف كثيرًا من جسد «أريوجاسيت»، وأخف من جسد «جين»، أم يجب أن يقول «ماري»؟

المهم أنه لم يعد يخشاها، بل ربما كانت هي من تخشاه الآن!

انطلق حاملاً جسدها نازلاً درجات السلم في بطاء، بينما صوتها ينخفض ليصير همسًا ضعيفًا مثيرًا للشفقة:

- هل يجب فعل هذا حقًا يا «نورمان»؟ صدقني ليس هذا ضروريًا. أنت لم تعد تحبني. فلو أنك تحبني فعلاً لما طاوعك قلبك على فعل هذا في أمك العجوز.

- لو لم أكن أحبك لكنت الآن بالسجن يا أمي العزيزة، أو في إحدى مستشفيات المجانين في أحسن الأحوال!

وهنا سكنت، فلا بُدَّ أنها فهمت مقصده، وظلت صامته طيلة الوقت حتى وصلا للقبو. فتحه بالمفتاح النحاسي العتيق، وهي لا تزال صامته، ولم تتكلم إلا بعدما وضعها على الكرسي الموجود بالداخل، وتراجع للخلف ليغلق الباب عليها. سمع صوتها يهمس من بين بكائها:

- أعتقد أنك محق يا بني. لكنني أعدك أنني لن أكون بمفردي في السجن أو في مستشفى المجانين!



لم يعلق «نورمان» على جملتها، وإنما أغلق الباب، وانسحب صامتًا عائِدًا  
للدور العلوي.

لم يكن متأكدًا، لكن بينما هو يصعد درجات السلم شعر بأنه لا يزال يستطيع  
سماع صوت ضحكاتهما المكتومة وسط الظلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

## الفصل الحادي عشر

مرت الساعات في بطاء قاتل على «هنري» و«ليلي» وهما ينتظران عودة «أربوجاسيت» في الغرفة الخلفية بالمتجر، لكن كل ما تناهى إلى مسامعهما هو أصوات أمسيات السبت المعتادة. علق «سام»:

- أمسيات السبت لها أصوات مميزة مختلفة عن بقية الأيام. السيارات على سبيل المثال تكون أكثر من الأيام العادية وتسير بشكل أسرع، لأن المراهقين يخرجون في أمسيات السبت بسيارات آبائهم، وكل تلك الأصوات التي نسمعها هي أصوات ركن السيارات. الكثير من العائلات تأتي لمشاهدة عروض السينما والمسارح كذلك. لاحظي صوت الأقدام المسرعة بالخارج. لاحظتي؟ أمسيات السبت هي الوحيدة التي يتمكنون فيها من البقاء بالخارج لوقت متأخر، بلا واجبات دراسية.

ضحك مستطردًا:

- معذرة، لا بُدَّ أن الضوضاء أشد عندكم بمدينة «فروت ويرث» بكل أمسيات الأسبوع.

- أعتقد.

هكذا أجابته «ليلي»، قبل أن تسأله:

- «سام»، لماذا لم يظهر الرجل حتى الآن؟ الساعة صارت التاسعة تقريبًا.

- لا بُدَّ أنك جائعة. أتريدين أن أحضر لنا بعض الطعام؟

- لا، ليس الأمر هكذا. لماذا لم يظهر؟

- ربما تأخر بالزحام. ربما عثر على دليل مهم وهو يتبعه الآن. هناك الكثير من الاحتمالات.

- كان بوسعه الاتصال بنا على الأقل. فهو يعرف كم نحن قلقين.

- اصبري قليلًا يا عزيزتي.

فقدت الفتاة صوابها، فانتصبت واقفة وهي تدفع كرسيها بعيدًا صائحة:

- لقد مللت الانتظار! لم يكن ينبغي أن أصدقه وأنتظر على الإطلاق. كلهم يفكرون في المبلغ اللعين، لا أحد يبالي بأمر «ماري» المسكينة من الأصل!

- هذا غير صحيح.. أنت تعرفين جيدًا شعوري تجاهها.

- لماذا لا تفعل شيئًا إذن؟ ما سبب جلوسك ساكنًا هكذا دون فعل شيء؟
- قالتها وهي تركز الكرسي بانفعال، قبل أن تختطف حقيبتها من فوق المنضدة وتتأهب للخروج، فسألها:
- لحظة واحدة... أين تتوين الذهاب؟
- إلى ذلك العمدة.. وحالًا!
- ألم تتفق مع «أربوجاسيت» على انتظاره حتى يعود؟
- أنا لم أتفق معه على شيء! أنت من اتفقت معه.. وعمومًا لا يوجد ما يرغبه على العودة لنا. ألم يكن من المفترض أن يعود منذ فترة لو كان صادقًا؟
- فكر «هنري» في منطقتها للحظات ثم أجاب:
- حسنًا.. سأتصل بالعمدة قبل الذهاب إليه.
- اتجه نحو جهاز الهاتف، ثم لم يلبث أن عاد بعد دقائق لينبئها بأن عصابة قد هاجمت بنك «قاليتون»، وأن العمدة ورجاله قد خرجوا ليطاردوهم.
- ابتسمت في مرارة وهي تسأله:
- وماذا تنتوي أن تفعل الآن؟
- لا مفر أمامنا سوى الانتظار.. وغالبًا لن تتمكن من الوصول للعمدة قبل صباح الغد.
- صاحت «ليلي» تائرة وهي تدق الأرض الخشبية بقدمها:
- هذا لن يكون! بالتأكيد هناك ما يمكن فعله!
- مممم.. من الممكن أن نتصل بفندق «بيتس» هذا لمعرفة ما تسبب في تأخير «أربوجاسيت».
- قالها وهو ينهض من جديد ليتجه نحو الهاتف، ويتصل بعاملة السنترال للاستفسار منها عن رقم تليفون الفندق.. لم يلبث أن عاد بعد لحظات مستغربًا!
- تليفون الفندق لا يرد!
- سأذهب إليه بنفسه إذن!

- لا.. ابقى أنت هنا بانتظار «أربوجاسيت» في حال ظهوره، وأنا سأذهب للفندق للاستفسار.

- ماذا تظن قد حدث يا «هنري»؟ أنا في أشد حالات التوتر.

- لا أعلم صدقيني! لكن ربما تكون لديّ إجابة عند عودتي. الفندق ليس بعيد. على الأغلب المسافة لن تستغرق أكثر من نصف ساعة.

وبالفعل عاد بعد تلك النصف ساعة، لكن ما حمله من أخبار كانت مثيرة للقلق أكثر.

كانت «ليلي» تنتظره على أحر من الجمر، وبمجرد أن رآته حتى هتفت:

- ماذا فعلت؟ هل وجدته هناك؟

هز كتفيه نفيًا وهو يجيبها:

- كان الفندق مغلقًا بالكامل، كل الأبواب والنوافذ موصدة ولا أثر لأي حياة. الفندق والمنزل الموجود خلفه كذلك. طرقت كل الأبواب دون جدوى. يبدو أن السيد «بيتس» قد ذهب للمدينة لفعل شيء ما.

- وماذا عن «أربوجاسيت»؟

- لم يكن هناك هو الآخر.. كما لم تكن سيارته هناك.. بحثت عنها بلا أدنى جدوى.. لا بُدَّ أنه رحل من الفندق بعد مكالمته معي.. السيارتين الوحيدتين الموجودتين بالمكان كانتا من «ألاباما» و«إلينوي».

قطبت الفتاة حاجبيها وهي تفكر:

- أين يمكن أن يذهب دون إخبارنا؟

- ربما وجد أثرًا هامًا سيساعده في مهمته، أو.. لحظة.. ربما ذهب مع «بيتس» هذا لمكان ما!

- أين سيذهبان بحق السماء في هذا الوقت المتأخر؟

- لا أعرف.. ربما أخبره «بيتس» هذا بطرف خيط عن مكان تواجد «ماري» وقد قرر «أربوجاسيت» اتباعه؟

- الموضوع كله مريب. كيف يختفون كلهم في نفس الوقت هكذا؟

أدار «هنري» الراديو على موسيقى هادئة وهو يقول:

- موضوع اختفائهما هما الاثنان هذا يرجح احتمالية أنهما سوّيا.

وضعت الفتاة يدها على رأسها بقنوط.

- ياللهول.. ما معنى كل ما يحدث؟!

وضع «هنري» يده على كتفها مطمئناً:

- اسمعيني.. أنت بحاجة لأن تصيبي شيئاً من الراحة. أنا أكاد أكون متأكدًا من استنتاجي هذا. لا بُدَّ أَنْ «أريوجاسيت» قد عرف معلومة ستقوده لمكان «ماري» فقرر الانطلاق في أثرها على الفور قبل أن تبتعد أكثر. لا مناص من الانتظار حتى الغد على أية حال قبل أن نستطيع التصرف، وربما تصل لنا أنباء جديدة تطمئننا.

لكنهما لم يتلقيا أي أنباء بالصبح، لا مطمئنة، ولا غيرها!

لم يجد «هنري» مفراً من اللجوء للعمدة، فذهب هو و«ليلي» له في مكتبه بمجرد أن دقت الساعة العاشرة صباحاً، لكن السكرتير العجوز الموجود هناك كان بمفرده بالمكتب.

- صباح الخير يا سيد «بيترسون». هل العمدة موجود؟

- لا.. ألم تعرف بموضوع سرقة البنك البارحة؟ لقد حضر رجال الإف بي أي!

- وأين هو الآن؟

- حسناً، لقد عاد للمكتب في وقت متأخر للغاية البارحة، أو ربما يجب أن أقول إنه قد عاد في ساعات الصباح الأولى في الواقع.

- وهل أوصلت الرسالة التي تركتها له مساء أمس؟

بدا التردد على الرجل العجوز. بلل شفثيه الجافتين وهو يجيب:

- أ.. أعتقد أنني نسيت.. كل تلك الأشياء التي حدثت أنستني.. كنت أنتوي إخباره عندما يعود اليوم.

- ومتى سيعود؟

- بعد موعد الغذاء أعتقد. فهو يذهب للكنيسة كعادته كل أحد.

- أي كنيسة يذهب إليها؟

- الكنيسة المعمدانية الأولى.

- شكراً.

- لن تذهبا له وسط الموعظة و...

لم يكذب الاثنان خبْرًا، ولم يباليا بالرد على الرجل، فانطلق «هنري» خارجًا، بينما قرعات كعبي «ليلي» تدقان أرضية البهو من خلفه، بينما هي تهتف:

- ماذا يفعل بالكنيسة في هذا الوقت؟! يدعو أن يقوم أحدهم بالإمساك باللصوص نيابة عنه؟

لم يرد عليها، وعندما وصلا للشارع سألته:

- أين نحن ذاهبان الآن؟

- للكنيسة المعمدانية الأولى طبعًا.

وسرعان ما كانا في طريقهما للكنيسة، فوصلا هناك في نفس اللحظة التي كان العمدة على وشك أن يستقل سيارته فيها للانصراف.

- ها هو. تعالي ورائي!

قالها «هنري» وهو يهرع نحوه ليمسك باب السيارة قبل أن تنطلق.

- طاب يومك يا سيدي.. هل تسمح لي بكلمة معك؟

ثم أشار نحو مرافقته مستطرّدًا:

- هذه هي الأنسة «ليلي كرين» من بلدة «فورت ويرث».

رفع العمدة قبعته محييًا وهو يهتف مبتسمًا:

- أها. إذن فأنت الفتاة التي صدعنا «هنري» بالحديث عنها طيلة الفترة السابقة؟ أرى أن «هنري» حسن الحظ، لم أكن أتوقع أنك على هذا القدر من الجمال يا عزيزتي.

قاطعته «ليلي»:

- شكرًا للإطراء.. لكن لا بُدَّ أنك تقصد أختي.. وهي من جنّاتك بخصوصها يا سيدي العمدة.

بينما قال «هنري»:

- من الأفضل أن نذهب لمكتبك يا سيدي لكي نشرح لك الموقف كله!

استقل ثلاثتهم سيارة العمدة، الذي طلب من السائق أن يتجه بهم نحو المكتب.

وبمجرد وصول ثلاثتهم للمكتب حتى طلب العمدة من سكرتيره العجوز أن يحضر لهم بعض الشاي، ويمنع دخول أي شخص على اجتماعهم.

وداخل المكتب حكى «هنري» قصة «ماري» منذ بدايتها على مسامع العمدة، وحتى نهايتها.. وبالنهاية قال العمدة:

- لحظة من فضلك. تقول أن ذلك الرجل «أربوجاسيت» فعل كل هذا دون أن يتصل بي أو يحاول التواصل مع أي سلطات هنا!

- نعم.. أخبرتك لماذا فعل هذا. كان يتوقع ويتمنى الوصول لمعلومات مفيدة دون الحاجة لتوسيع الأمور باللجوء للسلطات. فكر في أن يبحث عن «ماري» سرًا ويسترد منها المبلغ دون ضجيج، حتى لا تحيط الشبهات بسمعة مؤسسة «لوبيري» كذلك.

- وهل أراك بطاقته؟ هل أنت متأكد من أنه الشخص الذي يزعمه؟

- نعم رأيتها، وقد تعقب «ماري» حتى فندق «بيتس» هذا، لكنه لم يظهر بعدها، وهذا ما أثار قلقنا عندما لم نسمع منه أي شيء حتى الآن.

- لكنك لم تره بالأمس عندما ذهبت للفندق على حد قولك؟

- بالضبط.. ولم أر أي شخص آخر.. لا «أربوجاسيت»، ولا غيره، كل الأبواب والنوافذ كانت مغلقة من الداخل والمكان كله - الفندق والمنزل - يسبح وسط الظلام.

- هذا غريب.. فأنا أعرف أن «بيتس» لا يترك الفندق أبدًا. هل حاولت الاتصال به صباح اليوم مثلًا؟ لم لا أفعلها أنا الآن.. ربما كان نائمًا عندما ذهبت أنت له البارحة.

قالها وهو يمد يده نحو الهاتف، فقال «هنري»:

- لحظة! لا تذكر له شيئًا عن موضوع النقود. أسأله فقط عن «أربوجاسيت» ولنرى ماذا سيخبرك.

- لا تقلق يا صبي، أنا أعرف ما يجب قوله وفعله.

أدار قرص التليفون، وإن هي إلا لحظات حتى...

- ألو.. أهذا أنت يا «نورمان»؟ أنا «تشامبرز»، العمدة.. كيف حالك؟ عظيم.. كنت أريد أن أسألك عن شيء. هناك من يبحثون عن رجل اسمه «أربوجاسيت».. «ميلتون أربوجاسيت» إنه من بلدة «فورت ويرث» ويعمل كمحقق لشركة تعمل في التأمينات التجارية. ماذا رأيت؟ متى؟ أها.. نعم نعم أفهم.. تكلم.. أنا أسمعك.. أوه.. ثم رحل بعد هذا؟ هل بدر منه ما يدل

على وجهته؟ أين؟ متأكد؟ حسنًا.. هل هذا هو كل ما حدث؟ لكن لحظة واحدة.. متى تذهب للنوم يا بني في المعتاد؟ أها.. تمام.

ثم أعاد السماعه مكانها قبل أن يرفع عينيه لكل من «ليلى» و«هنري» ويقول:

- يبدو أن الهدف قد انطلق في طريقه لـ «شيكاغو».

هتف «هنري» مصعوقًا:

- شيكاغو! لماذا؟

- يبدو أنه وقع على أثر دله على أن «ماري» ذاهبة هناك، فانطلق يحاول اللحاق بها.

صاحت «ليلى» فجأة:

- ما الذي قاله لك صاحب الفندق بالضبط؟!

- ما قاله لكما «أربوجاسيت» بالهاتف بالأمس حرفيًا. قال أن أختك قد حلت بالفندق بلبلة السبب الماضي، لكنها انتحلت اسمًا آخر هو «جين ويلسون» ومن كلامها فهم أنها متجهة صوب «شيكاغو».

- لكن «ماري» لا تعرف أحدًا هناك، لم تذهب هناك من قبل! لا بُدَّ أن الفتاة التي يقصدها فتاة أخرى.

- ما استوعبته من حديث «بيتس» أن «أربوجاسيت» قد تعرف على خطها وتؤكد من شخصيتها.. كما تأكد من أوصافها وأوصاف السيارة، ولم يكذب الشرطي السري يعرف بمعلومة أنها انطلقت لـ «شيكاغو» حتى قفز في سيارته وانطلق ينهب الطريق ليلحق بها.

قطبت «ليلى» حاجبيها قائلة:

- المفترض أنها سبقته بأسبوع لو كانت هي نفس الفتاة.. فلم العجلة إذن؟ بالتأكيد لن يعثر لها على أثر في مدينة ضخمة مثل «شيكاغو».

- بالتأكيد سيقوم ببعض التحريات هناك عندما يصل.. ربما لم يذكر كل للحقائق التي عرفها عن «ماري» لصاحب الفندق. ألم يستطع تتبعها من بلدتكما حتى هنا؟

هزت «ماري» رأسها في شك قائلة:

- لا أظن «أربوجاسيت» هذا يعلم أكثر مما نعلمه.



قال «هنري»:

- وماذا يجعلك واثقًا من صدق ذلك الرجل المدعو «بيتس»؟ أليس من الممكن أن يكون كاذبًا؟

- لكن لماذا سيكذب؟ هو ليس له علاقة بالموضوع ولا مصلحة لديه في إخفاء شيء.. لقد تحدثت معي بكل صراحة فأخبرني أن الفتاة قد قضت ليلتها بالفندق، وأن السيد «أربوجاسيت» قد مر به البارحة واستجوبه عن ملابسات حضور الفتاة وانصرافها من الفندق.

- وأين كان ليلة أمس عندما ذهبت له؟

- كان نائمًا كما قلت لك. أنا أعرف «نورمان بيتس» جيدًا منذ كان طفلًا صغيرًا. وهو ليس بالذكاء الذي تتصوره. لا يتمتع بالذكاء الكافي ليشق طريقه بالحياة بعيدًا عن فندق أمه، فلم لا أصدقها، خصوصًا بعد أن أوضح لي كذب صديقك «أربوجاسيت» بما لا يدع مجالًا للشك؟

- كذب؟ كيف؟!

- ألم يخفي عنك في حديثه معك بالأمس أنه سيذهب لـ «شيكاغو»؟ يبدو أنه أراد أن يكسب بعض الوقت حتى يتبع «ماري» بمفرده.

- معذرة، لكنني لا أفهمك يا سيدي.. تقول إنه كذب، كيف؟

- كذب حين أخبرك أنه رأى السيدة «بيتس» من نافذ حجرتها، فقد ماتت تلك المرأة منذ عشرين عامًا! والواقع أنها كانت ذات قصة مثيرة للغاية يتحاكها جميع أهل البلدة.. يدهشني أنك لا تتذكرها، لكن أعتقد أن هذا بسبب أنك كنت طفلًا صغيرًا وقتها. قامت تلك المرأة بإنشاء فندق «بيتس» هذا مع رجل يدعى «كونسدين»، ويبدو أنهما كانا في علاقة غرامية، لكن ظهرت الكثير من العقبات التي منعت زواجهما، قيل وقتها أن الرجل متزوج من امرأة أخرى. المهم أنهما تناولا السم سوياً وماتا، وأصيب ابنها «نورمان بيتس» بصدمة عصبية وقتها، ليمر عليه شهرين كاملين في مستشفى نفسي، ولم يشترك في تشييع الجنازة.. لكنني شهدت جنازتهما بنفسني!

## الفصل الثاني عشر

خيم الصمت على الجالسين للحظات كأن على رؤوسهم الطير.. بعد بضع لحظات كئيبة صامتة تنحنحت «ليلي» قائلة:

- لا أستطيع تصديق أن «أريوجاسيت» سيرحل دون إخبارنا.. لقد اتصل بنا خصيصًا من الفندق ليخبرنا باكتشافه لوصول «ماري» لهذا الفندق. أنا أشك في قصة رحيله لـ «شيكاغو» هذه بالكامل.

أجابها «هنري»:

- ربما كان العمدة محققًا.. ألم يكذب علينا في نقطة أم «بيتس» هذه التي يزعم أنه رآها؟

- هذا لا علاقة له بما أقصده. ربما يكون «بيتس» قد كذب هو الآخر بخصوص سفر «ماري» لـ «شيكاغو».. ماذا يمنع أن يكون الاثنان يكذبان؟

- لكن العمدة يعرفه منذ زمن ولا يرتاب في صدقه.

- وكما يعرف العمدة «بيتس» هذا منذ زمن، فأنا أعرف «ماري» منذ زمن، ولم أشك للحظة في أنها يمكن أن تقدم يومًا على فعل ما فعلته. اسمعني يا «هنري».. هناك فكرة خطرت لي!

- ما هي؟

- ماذا قال لك «أريوجاسيت» بالضبط حين اتصل بك آخر مرة؟ أقصد ما الذي قاله لك عن والدة «بيتس»؟

- ممم.. كل ما قاله هو أنه رآها قرب نافذة حجرتها.

- ربما لم يكن يكذب في هذا.

- بل كان يكذب! ألم يقل العمدة أمامك منذ لحظات أنها ماتت منذ عشرين عامًا وأنه حضر جنازتها بنفسه؟

- ولماذا لا يكون صاحب الفندق هو من يكذب؟ كل ما قاله «أريوجاسيت» أنه قد لمح امرأة واستنتج أنها والدة «بيتس»، صح؟ وعندما سأل صاحب الفندق أكد له المعلومة، وأخبره أنها مريضة للغاية، وأصر «أريوجاسيت» على رؤيتها.. صح؟

- صح.. لا أفهم ما الذي تريدني الوصول إليه.

- لم تفهم، لكن غالبًا «أربوجاسيت» فهم الموضوع، لقد لمح من تجلس بجوار نافذة.. ربما تكون أي امرأة.. لا يجب أن تكون أم «بيتس» هذا. ربما تكون «ماري»! لم تنقطع آثار «ماري» فقط عند الفندق، بل آثارها هي و«أربوجاسيت»!

قالتها ونهضت مسرعة فمد «هنري» يده نحوها سائلًا:

- مهلاً مهلاً.. إلى أين يا فتاة؟

أجابته في تصميم:

- إلى ذلك الفندق اللعين! يجب أن أرى بنفسني!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

## الفصل الثالث عشر

سمع «نورمان» صوت السيارة من قبل أن تتوقف حتى أمام الفندق. كان المكان يخلو من النزلاء بذلك الصباح، كما كان يخلو منهم البارحة.

وعندما قررت الشمس أن تختبئ وتترك الفرصة للسحب أن تسيطر على السماء، أدرك «نورمان بيتس» أنه لن يحل بالمكان المزيد من النزلاء، فقرر الاتجاه لمخبأ زجاجة الخمر التي يحتفظ بها، ثم صب لنفسه كأسًا.

لقد تمكن من خداع العمدة المغفل بكل سهولة، وقد أشعره هذا بالرضى الشديد عن نفسه. لقد ضلل الأبله العجوز ولم يتردد في كل إجاباته، فلم يتردد أو يتلعثم ولو لمرة. مدّ يده ليصب لنفسه كأسًا آخر، لكنه توقف عندما سمع صوت السيارة التي توقفت بالخارج!

أطل من النافذة، فشاهد رجلًا يهبط من السيارة، ثم لمح فتاة و..  
مستحيل!

أيمكن أن تكون هي؟ لا.. مستحيل!

لقد نقل جثتها المفصولة الرأس بيديه!

أتراها أعادت تثبيت رأسها، ثم خرجت من السلة، ثم من السيارة، ثم من المستنقع، وأنت لتنتقم منه؟

أخذ يتأمل الفتاة مرعوبًا، ثم بدأ يلاحظ الاختلافات. صحيح أنهما متشابهتان للغاية، لكن هناك اختلافات بسيطة بينهما.. قامتها مختلفة، وكذلك تصفيفة الشعر ولونه، لا بُدَّ أنها أختها. لحسن الحظ أنه قد وضع أمه داخل القبو المغلق، فهو يعرف جيدًا ماذا كانت لتفعل لو رأتها. يجب ألا يضطرب أو يتوتر.. ليس لأنها تشبهها ستكون عارفة بأي شيء مما حدث.. إن هي إلا لحظات ستمر في سلام بطريقة أو بأخرى.

أفرغ كأسه في جوفه سريعًا، فشعر بالسائل الدافئ الحارق وهو ينزلق في حلقه في طريقه لأسفل، وشعر بحرارة الخمر تتسلل في كل جزء من جسده فتكسبه القوة اللازمة. يستطيع الآن أن يواجه الشيطان نفسه دون مشكلة، لن يتوتر أو يتلعثم. وقف أمام باب مكتبه في استقبال الزائرين الشباب، واستعد لتلقي أسئلتها، لكنه فوجئ بالرجل يسأله:

- هل نطمع في أن نجد لديك غرفة لقضاء الليلة؟

أطرق «نورمان» برأسه وقد عاوده الاضطراب.. هل أخطأ؟ لا.. إنها أختها ولا شك لديه في هذا! أجابه:

- نعم.. لدي.. أترغب في إلقاء نظرة على الغرفة قبل الحجز؟

لوح الشاب بيده مجيبًا:

- لا داعي.. نحن نريد استبدال ملابسنا في أسرع وقت.. أي غرفة ستفي بالغرض.

«ليس كاذبًا ماهرًا للأسف»، هكذا فكر «نورمان». ملابس كلاهما مهندمة لا عيب فيها، الموضوع كله مريب.. لكنه أرغم نفسه على الابتسام لهما قائلاً:

- حسناً.. أجر الغرفة المزدوجة سيكون عشرة دولارات يا سيدي.

قدم لهما الدفتر، فلاحظ أن الشاب توتر وتردد للحظة، قبل أن يوقع باسم: «السيد هنري رايت» وحرمه، من مدينة «إينديبيندانس».

ولا بُدَّ أن هذه كذبة أخرى منه وقد أدرك «نورمان» هذا.

مدت الفتاة بصرها للدفتر، وتوقفت عيناها للحظات عند اسم معين.. لم يكن الاسم الذي كتبه الشاب، وإنما عند اسم آخر يسبقه ببضعة أسطر.. عند منتصف الصفحة بالضبط.. اسم «جين ويلسون»!

ضغطت الفتاة على ساعد الشاب في صمت كأنما تريد أن تلفت انتباهه لهذا، وهي تظن أن صاحب الفندق لن ينتبه لها، لكن «نورمان» لاحظ، ابتسم، ولم يعلق.. قال لهما:

- ستحبان غرفة رقم ٣، فهي رحية ومنتسعة ومريحة.

سألته مدام «هنري» المفترضة:

- هل غرفة ٦ شاغرة؟

وهنا تذكر «نورمان» أن هذا هو الرقم الذي كان مكتوبًا جوار اسم «جين ويلسون» بالدفتر، وتأكدت شكوكه! أجابها بهدوء:

- شاغرة.. لكنها صغيرة للغاية.. وليس بها إلا فراش واحد.

- لا بأس.. نحن زوجان.

قالتها الفتاة وهي تميل على الشاب للتعلق بذراعه، فلم يجد «نورمان» مفر من قول:

- كما تحبان.. لكن سيكون نفس أجر الغرفة المزدوجة.  
- اتفقنا.

التقط مفتاح الحجرة المنتظرة، ورافقهما حتى هناك، ثم انطلق الشاب إلى السيارة ليلتقط حقيته، بينما سأل «نورمان»:

- هل تحتاجان لأي شيء آخر؟  
أجابته الفتاة:

- لا.. شكرًا لك.

انسحب «نورمان» وهو يعلق باب الحجرة خلفه، ثم رجع إلى مكتبه حيث صب لنفسه كأسًا آخر - ثالثًا - من الخمر، وأخذ يزدردده وهو يفكر في سبب مجيئهما.. لكن هذا لا يهم. سوف يفتشان كل ركن من الحجرة، ولن يتركا حجرًا فوق حجر، لكنهما لن يجدا ما يثير الريبة، وسيضطران للاستسلام والرحيل بالنهاية.

نهض وتحرك في خفة نحو الجدار، ثم أزاح الإطار المعلق قليلاً، وتطلع من خلال الثقب الذي كان يراقب منه «ماري» منذ بضعة أيام، لكنه هذه المرة لم ير شيئًا، فحاول أن يتصنت ليسمع أي شيء مما يقولانه.. بالنهاية سمع صوت الفتاة:

- من يعلم، فربما نجد هنا شيئًا يدلنا على ما حدث.

سمع الشاب يجيبها:

- ما زلت أرى أن نواجهه ونخبره بسبب قدومنا الحقيقي فنرهبه حتى يعترف.

- وكيف سنرهبه؟ هل نسيت أننا لا نملك دليلًا واحدًا نعتمد عليه؟

ابتسم «نورمان»، لكن ابتسامته لم تليث أن تلاشت عندما سمع صوت حركة في الحمام، فأبعد أذنه عن الثقب ليتمكن من النظر، ولمح الفتاة وهي تنظر حولها للسقف والجدران وأرضية المكان، ثم شاهدها وهي تتجه نحو أحد الأركان، فتنحنى كأنما تلتقط شيئًا، ثم سمعها تهتف:

- «هنري»! انظر!

- ماذا هناك؟

- إنها فردة من قرط «ماري».

- متأكدة؟
- نعم! لقد اشتريته لها خصيصًا من «دالاس» في عيد ميلادها الأخير.
- لكن هذا لا يعني شيئًا.. ربما سقط منها وهي تستحم مثلًا.. لحظة...
- ماذا هناك يا «هنري»؟
- أعتقد أنها قد حدث لها شيء فعلاً! انظري.. أليست هذه آثار دماء على القرط؟
- يا للهول! يجب أن نفتش ذلك البيت يا «هنري».
- هذا ليس بوسعنا.. إنه من سلطة العمدة أو الشرطة.
- إذن هيا بنا نقابل «بيتس» هذا.. سنواجهه بالقرط ونهدده ونرغمه على الاعتراف.
- أتظنينه سينهار ويعترف بتلك البساطة؟ يجب أن نقوم باستدعاء العمدة على الفور وهو سيعرف ما يجب فعله.
- لكن لو ارتاب «بيتس» هذا ربما يلوذ بالفرار من المكان قبل مجيء العمدة.
- لا أظنه يرتاب بأمرنا، فلم يصدر منا ما يحمله على الشك فينا. وعلى كل حال نستطيع الاتصال بالعمدة بالهاتف ليحضر، دون أن نضطر للابتعاد.
- لكن لا يوجد هاتف هنا.. لقد لمحت واحدًا بمكتب «بيتس»، لكنه سيسمعنا طبعًا لو اتصلنا بالعمدة منه.
- مرت لحظات قصيرة من الصمت المشبع بالتوتر، ثم ارتفع صوت الفتاة من جديد:
- اسمع يا «هنري» سأذهب أنا للعمدة، بينما تقوم أنت بإشغال «بيتس» بالحديث.. لو سألك عني قل له أنني ذهبت للبلدة لشراء دواء للصداع.. قل أي شيء لا يثير الريبة، وسأحاول العودة مع العمدة بأسرع وقت.
- اتفقنا.
- ناولني هذا القرط لكي أريه له.
- انقطعت الأصوات بعد هذا، لكن حديثهما ظل يتردد داخل عقل «نورمان بيتس» بلا توقف. الشاب سيقى، والفتاة ستذهب للعمدة، وليس بمقدوره

منعها، لو أن والدته هنا لتمكنت من التصرف بشكل لائق.. لكنها حبيسة القبو بسببه!

لو أن العمدة رأى القرط الملوث بالدم سيحضر على الفور وسينبش كل جزء من المنزل والفندق، ولو قام بتفتيش البيت سيجد أمه، ولو وجد أمه سيعرف حقيقة ما حدث منذ عشرين عامًا عندما عثر «نورمان» على أمه و«كونسدين» ميتين!

و«نورمان» يعرف جيدًا ما سيفعله العمدة وقتها. سيهرع إلى مقابر بلدة «فيرفيل»، وسيقوم بفتح قبر الأم، وسيفهم كل شيء بمجرد أن يكتشف أن تابوت الأم خالي!

قاطع أفكاره صوت قصف الرعد بالخارج منذرًا مليئًا بالرعب والويل.

ثم انفتح باب المكتب فجأة ليدخل منه «هنري»!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



## الفصل الرابع عشر

لكم تمنى «هنري» لو يستمر صوت الرعد هذا حتى يخفي صوت انطلاق السيارة التي ستنتقل بها «ليلي» لبلدة «فيرفيل» لتصل للعمدة!

لكنه وجد «نورمان بيتس» يقوم من مكانه ليقف مستندًا على المكتب في ركن يتيح له النظر عبر النافذة لرؤية الطريق بجلاء. هكذا أدرك «هنري» أنه سيلاحظ انطلاق السيارة على الفور، ولم يعد هناك جدوى من التمويه، فقرر اللجوء لخطة أخرى.. قال له:

- ستذهب زوجتي لإحضار دواء من البلدة القريبة.. أتسمح لي بمجالستك؟

ثم تنهد وهو يلقي نظرة عبر النافذة نحو السماء الملبدة بالغيوم التي تعتلي الفندق مستطرًا:

- لكم هي كثيرة السحب بالخارج.. يبدو أنها ستمطر.

تناول «نورمان» زجاجة ويسكي من درج مكتبه وهو يتنسم مجيئًا:

- أظن هذا.. أتحب أن تشرب؟

سكب بعض الشراب في كأس زجاجي صغير ناوله لـ «هنري» وهو يستطرد:

- الواقع أنني شاكر عرضك هذا.. فإنني قلما أجد من يؤنس وحشتي في هذا المكان المعزول.

أخذ «هنري» رشفة من كأسه قبل أن يسأل:

- المكان فعلاً بعيد للغاية عن الطريق الرئيسي.. هل تدير هذا الفندق منذ فترة طويلة؟

- نحو عشرين عامًا.

- بمفردك؟

سأله «هنري» وهو يرفع كأسه ثانية لشفتيه، فأجابه «نورمان»:

- نعم.. دعني أحضر لك كأسًا آخر.

- لا.. لا أظنني سأقدر.

قاطعه «نورمان» وهو يلتقط زجاجة الويسكي:

- قليلاً من الويسكي لن يقتلك.. سيفيدك في هذا الجو البارد.
- بدأت الأمطار الغزيرة تتساقط بالخارج فأثارت رجفة خفيفة داخل جسد «هنري»، بينما ابتسم «نورمان» معلقاً:
- كم أحب صوت قطرات المطر بالخارج.. كم هو مثير أن تكون داخل بيتك في أمان بينما العالم بالخارج يتمرد ويزأر!
- ألا توجد أي وسائل تسلية في هذا المكان؟
- سأل «هنري» بصوت متحشرج، فأجابه «نورمان»:
- حياتنا بها الكثير من الإثارة يا رفيق.
- حياتكم؟ ألم تقل لي إنك هنا بمفردك؟
- خطأ.. كل ما قلته هو أنني أدير الفندق بمفردتي، لكنه ملك لي أنا وأمي.
- ارتجفت يد «هنري» وكاد أن يسقط كأسه!
- حاول تمالك نفسه بكل ما بجسده من قوة، وتساءل في داخله لماذا تأخرت «ليلي» والعمدة في العودة لتلك الدرجة، ثم لم يلبث أن أجاب نفسه بأنه لم يكذب بضع دقائق على رحيلها ويجب أن يهدأ قليلاً، لكن هذا الخاطر لم يفلح في تهدئته، وإنما شعر بجسده يرتجف بشدة بينما صوت الأمطار بالخارج يخترق أذنيه كصوت مئات السكاكين تخترق لحمه، ويكاد يمزق أعصابه.. بالنهاية تمكن من أن يقول:
- ل.. لم أكن أعرف أن...
- طبعاً لم تكن تعرف.. لا أحد يعرف بالواقع.. الكل يظنها ميتة بينما في الحقيقة هي تقيم بصفة دائمة داخل البيت!
- كان يتكلم بنبرة هادئة كأنما يخاطب طفلاً شقيّاً بألا يلعب أمام بيته من جديد، ولسبب ما أثارت تلك اللهجة مخاوف «هنري»، فحاول هذا الأخير أن ينظر له بامعان، لكن قسما وجه «نورمان» كانت مختبئة وسط الظلام الذي خيم على المكان تدريجياً. استطرد «نورمان بيتس»:
- دعني أصارحك أن المكان لا يخلو من الحوادث المثيرة.. أحدها مثلاً هو ذلك الحادث الذي وقع منذ عشرين سنة، عندما تناولت أمي و«كونسدين» السم! يومها قمت باستدعاء العمدة، الذي أتى ليجدهما ميتين، وجوار جسد أمي كانت رسالة انتحارها!

لكم كنت مريضًا بذلك اليوم، لدرجة أنهم أخذوني للمستشفى حيث بقيت لشهرين كاملين، لكن هذا لم يمنعني من التصرف بالشكل المناسب بعدما خرجت.

لم يتمالك «هنري» نفسه من أن يسأل بفضول:

- وماذا فعلت عندما خرجت؟

- ألا تحب أن أملأ لك كأسك أولًا؟

- لا.. لا.. أكمل.

- أنا مُصر...

- فلتخبرني بما فعلت بالله عليك!

- لم أفعل الشيء الكثير.. كل ما فعلته هو أنني عدت بأمي للبيت.. هذا هو الجانب المشوق في الموقف كله. ذهبت للمقابر بعد منتصف الليل، نبشت قبرها، وأخرجتها، كنت أظنها ميتة، لكنها لم تكن كذلك. كانت فاقدة الوعي فقط.. عرفت كيف سأتمكن من إفاقتها ثانية وأعيدها للحياة. يقول الناس أن هذا مجرد سحر، لكن هذا لأنهم لا يعرفون الحقيقة. فيما مضى كانوا يقولون عن الكهرباء أنها مجرد سحر ملعون كذلك، لكن هذا كان لأنهم لا يفهمون أنها مجرد طاقة.. طاقة تستطيع أن تسيطر عليها لو عرفت سرها! الحياة والموت كذلك.. في قدرتك أن تطلقها أو تحبسها لو عرفت سرها.. هل فهمتني؟

- نعم.. بالتأكيد.. هذا كلام منطقي.

- كنت أعرف أنك ستهتم بهذا الموضوع.. أنت وتلك الفتاة. ليست زوجتك حقًا كما أخبرتني بالبداية، صح؟

همس «هنري» بصوت متحشرج:

- لا أفهم.

- أنا لست أبله.. أعرف أكثر مما تظنني أعرف.. وأكثر مما تعرف أنت حتى!

- هل أنت بخير يا سيد «بيتس»؟ أقصد...

قاطعه «نورمان»:

- أفهم ما تقصد.. تظنني ثملًا.. لكنني لم أكن ثملًا حينما وصلتما الفندق.. ولم أكن ثملًا كذلك حين عثرتما على القرط وأرسلت الفتاة لتحضر العمدة!

دوى صوت الرعد مع آخر كلماته.

- أ.. أنا..

- تفضل بالجلوس من فضلك.. لا داعي لأن تنزعج. هل تراني أنا منزعجًا؟ كل شيء سيكون على ما يرام. لولا يقيني بهذا لما أخبرتك بكل هذا.. لقد قررت أن أخبرك بكل شيء منذ رأيك تدخل المكتب، ثم رأيت رفيقتك الحسنة وهي تتوقف، تستقل السيارة، ثم تخرج منها ثانية! نعم.. أنت تظنها ذهبت للعمدة لتحضره هنا، لكنها لم تفعل.. يبدو أنها غيرت رأيها في آخر لحظة وقررت أن تقوم بتفتيش البيت أولاً.. وهي هناك الآن.

- دعني أرحل!

- لا امنعك يا عزيزي.. كل ما ظننته هو أنك ربما تحتاج أن تشرب كأسًا آخر بينما أحكي لك عن أمي، وبينما رفيقتك هناك في طريقها لمقابلتها وجهًا لوجه.

نهض «هنري» من مكانه فزعًا وهتف:

- ابتعد عني!

- لا ترغب في كأسٍ آخر إذن؟ لا داعي للانفعال يا رفيق.. على رسلك.

وفي نفس اللحظة التي ارتفع فيها قصف الرعد بالخارج، ارتفع صوت انفجار زجاجة الويسكي على رأس «هنري»، فترنج للحظة، قبل أن يسقط أرضًا فاقد الوعي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شعر «هنري» بيد تهزه بخشونة وعنف لتعيده للواقع، ففتح عينيه في بطاء، ووقع بصره على وجه العمدة. شعر بالصداع يمزق رأسه، وبدأ يتذكر كل ما حدث تدريجيًا.. إذن فقد كان «بيتس» يكذب عليه حينما أخبره أن «ليلي» لم تذهب للعمدة، أي أنها بخير الآن. سمع صوت العمدة يقتحم التشويش الذي يغلف عقله:

- لقد اتصل بي صاحب الفندق الذي يقيم به «أربوجاسيت» ليخبرني أن هذا الأخير قد أبلغه أنه سيعود مساء السبت للفندق، لكنه لم يفعل، ولم يسترد حقايبه حتى.. وعندما فكرت بالموضوع شعرت أن هناك شيئًا مريبًا فيه فقررت الاتصال بك لإخبارك، لكنني لم أجدك بالمكتب.. فكرت أنني ربما أجدك هنا، ويبدو أنني أتيت بالوقت المناسب.

حاول «هنري» أن يضبط على نفسه ليقوم وهو يسأله:

- ألم تقم «ليلى» بالاتصال بك؟
- على الإطلاق.. أفهمني ماذا يحدث هنا؟ ما كل هذا الزجاج المتناثر؟ وما الذي أفقدك وعيك؟ وأين «نورمان بيتس» بحق السماء؟
- لا بُدَّ أنه بالمنزل بعد أن هوى على رأسي بالزجاجة.. إنه مع أمه هناك و..
- أخبرتك أن أمه ميتة يا فتى.
- لا، ليست كذلك.. هو بنفسه أخبرني.. إن أمه مع «ليلى»!
- هيا بنا!
- وبمجرد أن خرجا من حجرة المكتب حتى ارتفع دوي الرعد، لكن من بين تلك الأصوات استطاع كلاهما أن يميزا شذرات من صرخات الفتاة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

## الفصل الخامس عشر

خطت «ليلي» مسرعة فوق درجات السلم، ووصلت عند باب البيت بينما أول قطرات الأمطار تتساقط من السماء.

كان بيتًا قديمًا متوسط الحجم، وقد بدا رماديًا كثيبًا يبعث الانقباض في النفس في الضوء الشحيح الذي صاحب العاصفة المقتربة. شعرت بالألواح الخشبية التي تفترش الأرض أمام الباب تصدر حفيقًا وهي تخطو فوقها، واستطاعت أن تسمع صوت الريح وهي تقتحم نوافذ الطابق العلوي.

أخذت «ليلي» تدق باب البيت بشدة، على الرغم من أنها كانت تعرف أن أحدًا لن يجيبها!

شعرت بالحرق والغضب يخنقانها، يعلوهما قبس من القلق.. لم تعد تصدق «هنري» أو العمدة.

كلهم لا يباليون بسلامة «ماري» من عدمها على الإطلاق.. كلهم!

«لوبيري» هذا لا يهमे إلا عودة ماله، و«أربوجاسيت» يقوم بمهمته التي تم تكليفه بها، والتي تنحصر في العثور على المال. أما بالنسبة للعمدة، فكل ما يهتم به هو تفادي أية متاعب. لكن من بين الجميع، كان رد فعل «هنري» هو أكثر شيء أثار سخطها.

طرقت «ليلي» الباب ثانية، فسمعت صداها يتردد بالبيت بالداخل، ثم لم يلبث صوت الأمطار أن غطى صوت دقاتها.. وبدأت تشعر بالتوتر يغزوها.

حسنًا.. هي غاضبة.. تعرف هذا بالفعل، لكنها تمتلك أسبابًا كافية.. لقد مر أسبوعٌ كاملٌ من الاستماع لكلامهم المتعلق بتهدئة أعصابها والصبر والانتظار.. ولو أنها كانت لا تزال تسمع كلامهم، فلا بُدَّ وأنها كانت لتظل موجودة في «فورت ويرث» حتى الآن، ولم تكن لتأتي هنا على الإطلاق.. لكنها اعتمدت على أن «هنري» سيساعدها. كان يجب أن تكون أذكى من هذا.. صحيح أنه شاب لطيف المعشر، وربما جذاب كذلك، لكنه يحمل تلك الطباع الهادئة البطيئة التي تميز سكان المدن الصغيرة مثل «فيرفيل» هذه.. مثله مثل ذلك العمدة العجوز الممتلئ الجسد.. كلهم لا يحبون المخاطرة.. لكنها ليست مثلها!

يجب أن تعتمد على نفسها لتكتشف حقيقة ما حدث وبأسرع وقت ممكن. لقد أكد القرط الملوث بالدماء شكوكها! كيف يكون رأي «هنري» أن تذهب بكل بساطة لتستدعي العمدة بعد كل ما حدث؟

لماذا لم يتحلَّ بالشجاعة ويذهب لضرب «بيتس» هذا حتى يعترف؟ كان هذا ما كانت هي لتفعله لو أنها رجل مثله. لم تعد تستطيع الوثوق بأي شخص منهم، لا العمدة، ولا «هنري» حتى!

كلهم يريدون الابتعاد عن المتاعب بأي ثمن. لو أنها لم تضق ذرعًا بجينهما هذا فعلى الأرجح أنها لم تكن لتقرر اقتحام البيت الآن، لكنها طفح بها الكيل من حذرهما المبالغ فيه ومن نظرياتهم!

هناك بعض الأوقات التي يجب أن تتوقف فيها عن تحليل كل شيء وتبدأ في الاعتماد على مشاعرك، وهو الشيء الذي قادها بالنهاية للعثور على قرط «ماري» المغطى بالدماء، ولا بُدَّ أن هناك المزيد من الأدلة التي تنتظرها بداخل هذا المنزل.. أكيد!

لا بُدَّ أنها ستجد ما يكشف لها غموض ما حدث لأختها، ستعرف ما مصيرها، أيًا كان هذا المصير.

ستفتش بنفسها كل جزء منه، ثم ستدع الموضوع بين يدي العمدة و«هنري» ليقررا ما يجب فعله. مجرد تذكرها لتراخيها أثار سخطها وجعلها تدق الباب في عنف من جديد!

لا يوجد من سيجيب عليها، وهي كانت تتوقع هذا بالفعل. وهي لن تدع هذا يقف عائقًا أمامها وستدخل.

لقد أصيبت أختها بسوء في هذا المكان المشئوم. يجب أن تخف لنجدة أختها وتنفذها لو كان هناك أمل في إنقاذها.

فتحت حقيبة يدها لتبحث بداخلها عما قد يساعدها في فتح هذا الباب. مدت يدها تنقب هنا وهناك، تزيح أشياءً وتفتح جيوبيًا، وتتنظر هنا وهناك.

مبرد الأظافر؟ لا، لن يجديها نفعًا.

مقص؟ لا، لن يصلح مع هذا الباب الضخم.

لكنها تذكرت فجأة أنها قد وضعت مفتاحًا هيكليًا، من الطراز الذي يفتح جميع الأقفال، لكن هل سينجح في فتح هذا الباب؟ أدخلته في القفل وهي تتمنى أن يفعل، وحبست أنفاسها وهي تديره للجانب ببطء، لكنها وجدته لا يدور. قررت أن تديره في الاتجاه المعاكس، لكن ظل هناك شيء يعاكسها داخل القفل، شعرت بالغضب يتملكها، وأدارت المفتاح في قوة، فشعرت به يدور بسلاسة فجأة قبل أن تدفع الباب براحة يدها وتراقبه وهو يتراجع للخلف، وسرعان ما وجدت نفسها داخل البيت المظلم.

خطت الفتاة بحذر داخل البيت، الذي وجدته أكثر إطلاماً من الخارج، لكن لا بُدَّ أن هناك زر إضاءة في مكان ما على الجدار.

أشعلت عود ثقاب وأخذت تجيل البصر فيما حولها، حتى عثرت على زر الإضاءة. ضغطت عليه وهي تتلعب ريقها متوترة، لينطلق شعاع من ضوء أبيض باهت كسا الموجودات من حولها في بطاء.

لفت انتباهها ورق الحائط المغطى ببعض النباتات، أهي عناقيد من العنب، أم أنها زهور؟ يا له من بيت غريب، كأنه ينتمي للقرن الماضي! قررت «ليلي» ألا تزج نفسها بتفقد حجات الدور السفلي الآن.

لقد قال «أريوجاسيت» أنه قد لمح من تجلس بجوار نافذة بالطابق العلوي.. يجب أن تبدأ من هناك!

وبعدما تنتهي من تفتيش الطابق العلوي، ربما تعود لتفتيش هذا الطابق السفلي.

لم يكن هناك مصابيح تضيء درج السلم، فأخذت ترتقيه في حذر وبطاء، مستندة على الدرايزين الخشبي العتيق، وهي تحاول ألا يصدر عنها أقل صوت، لكنها على الرغم من هذا شعرت بالألواح الخشبية العتيقة وهي تزأر أسفل قدميها كأنها تعترض على تلك الدخيلة التي اقتحمت بيتهم على حين غرة.

وعندما وصلت للدور العلوي فوجئت بالرعد يتردد بالخارج، لدرجة أنها شعرت به يهز البيت بأكمله. أخذ جسدها يرتجف، لكنها أرغمت نفسها على التماسك، ليس هناك ما يثير الرعب في بيت عتيق وبعض الرعد، صح؟ لا يوجد وقت لترف الشعور بالرعب، يجب أن تنتهي من مهمتها سريعاً!

عثرت على زر إضاءة بهذا الطابق، وعندما أدارته وجدت اختياراتها محصورة في ثلاث غرف، قاده الباب الأول لحمام عتيق الطراز هو الآخر لدرجة تجعله يليق بالعرض في المتاحف، بالمغطس الذي يستند على أربعة أقدام، واليد المعدنية التي تدلت من السقف بجوار التواليت، والحوض السيراميكي الصغير المنقوش، والدولاب الخشبي الذي امتلأ بالمناشف المرتبة بنظام.. كل شيء في مكانه ومنظم ومهندم بطريقة غير بشرية!

أما الباب الثاني فقد قادها لغرفة مظلمة أخرى، لم تلبث أن أضاءتها، وعلى هدى الإضاءة الشحيحة تمكنت من تمييز أنها غرفة السيد «بيتس» نفسه. كانت غرفة صغيرة غير مرتبة ومليئة بالأشياء التي تشعرك أنها غرفة صبي صغير وليس رجل بالغ.. على الأرجح هي غرفته منذ كان طفلاً وحتى الآن.



لم تجد أي أوراق، أو صور فوتوغرافية، أو... ربما كان يحتفظ بكل هذا في المكتب الموجود بالفندق. نعم، هذا محتمل.. هنا انتبهت «ليلي» للصور المعلقة على الجدران.. كانتا صورتين.. الصورة الأولى يظهر فيها صبي صغير يمتطي مهراً، وبالصورة الأخرى كان نفس الصبي يقف أمام مدرسة صغيرة مع بضعة أطفال آخرين، كلهم فتيات باستثناءه. احتاجت «ليلي» لبضع دقائق قبل أن تستطيع تمييز ملامح «نورمان بيتس» في ملامح ذلك الصبي.. كان نحيفاً للغاية في طفولته، وكان غزير الشعر، بعكس حاله الآن، لكن في مكان ما أسفل ملامح ذلك الصبي الموجود بالصورة استطاعت تمييز أنف وعينا ذلك الرجل البدين الذي قابلته منذ قليل.

تفقدت الدولاب الخشبي الصغير الموجود بركن الحجرة، لكنها لم تجد به إلا بعض البناتيل، وسترة، ومعطف طويل.

لم تجد بأي من جيوب تلك الملابس ما يفيدها في بحثها، فقررت تفقد رف الكتب، فأخذت تتأمل في فضول الكتب المتراسة بجوار بعضها.

«نموذج جديد للعالم»

«امتداد الوعي البشري»

«السحر في الثقافة الأوروبية الغربية»

«الأبعاد والوجود»

ليست تلك كتب من الطراز الذي يقرؤه صبي صغير، ولا من طراز الكتب التي يقرؤها صاحب فندق معزول كهذا. مرت بعينها سريعاً على بقية العناوين.

«علم النفس الجنائي»

«التصوف»

«القوى الخفية»

«علم النفس والجنس»

وعلى الرف السفلي وجدت مجموعة من الكتب التي لا تحمل أي عناوين، مجرد صف من الأغلفة الجلدية بنية اللون المتماثلة الشكل، والتي ذكرتها بأرشيف السجلات. سحبت أحدهم وفتحته، لتفاجأ بأنه يمتلئ برسومات تشريحية للجسد البشري، تكاد تصل في دقتها لصور البورنو!

شعرت بالفزع يعتريها من منظر تلك الصور فأعدت الكتاب مكانه سريعاً، واعتدلت مفزوعة، وبينما هي تعتدل، شعرت بالفزع يتبدد قليلاً ليحل محله

شعور من الفضول.. هنا تمكنت من أن تعرف المزيد عن ذلك الرجل.. المزيد الذي لن تعرفه من النظر لوجهه الممتلئ المتراخي أو من الحديث معه. هنا عرفت ما يدور بعقله.. قطبت حاجبيها وهي تتراجع للردهة ببطء.

سمعت صوت الأمطار وهي تتساقط على السقف، لا يقاطعها إلا صوت دوي البرق الذي أفرعها بينما هي تفتح باب الغرفة الثالثة، وللحظة وقفت صامتة ترمق الحجرة المظلمة، تتشمم بأنفها رائحة عطنة نفاذة مميزة تأتي من الداخل.. ضغطت زري الإضاءة الموجود بجوار الباب، ثم انتفضت!

هذه هي حجرة النوم الرئيسية بالبيت، ولا شك في هذا، وهي تتذكر ما قاله العمدة أمامها عن أن «نورمان» قد أبقاها كما هي منذ وفاة والدته، لكن بالرغم من معرفة «ليلي» لكل هذا فقد اندهشت لرؤية تلك الحجرة التي بدت كأنما هي من عصر آخر، عصر كان هو أحدث صيحة منذ خمسون عامًا مثلًا! عصر ساعات الحائط المذهبة، والسجاد التركي الأحمر، وورق الحائط المغطى بالزهور، وتمائيل القطط الصينية العتيقة، بالإضافة لوجود جرامافون في الركن. تأملت الفراش الضخم ذو الأعمدة وأغطيته المزركشة، ثم رفعت عينيها نحو الوسادات المنتفخة، قبل أن ترمق الكرسي الهزاز.

شعرت كأنما قد سقطت في فجوة زمنية نقلتها للماضي.. صحيح أن أثاث المنزل بالأسفل قديم الطراز كذلك، لكنه كان مغطى بالتراب وبدأ في التحلل، أما هنا فكل قطعة تنبض بالحياة! كل قطعة تلمع بلا أدنى أثر للتراب عليها باستثناء رائحة العطن الغريبة هذه، فقد بدت الحجرة مفعمة بالحياة، كأنما صاحبها قد غادرتها للتو لقضاء بعض شؤونها، ولن تلبث أن تعود خلال دقائق.

اتجهت «ليلي» نحو الدولاب، وفتحته لتتأمل المعاطف والأثواب المعلقة بداخله في نظام.. كلها أثواب من الطراز الذي كان أحدث صيحة منذ خمسين عامًا.. تنورات قصيرة زاهية الألوان، وأثواب أنيقة قصيرة الأكمام، وأوشحة، وقبعات مبهرجة، ولا شيء أكثر.. كانت ثيابًا تدل على مدى حسن ذوق صاحبها وكم كانت تعتني بنفسها.

أغلقت «ماري» الدولاب، وجلست على طرف الفراش تتحسس بأناملها الغطاء المخملي الناعم، قبل أن تسحبها مذعورة. شعرت بحدود جسد من كانت ترقد بالفراش لا تزال ظاهرة. الفراش منخفض قليلًا بالمنتصف كأنما من كانت ترقد فيه قد تركته منذ دقائق معدودة.

ليس الموضوع موضوع أشباح، هناك جسد بشري قضى ليلته بهذا الفراش، وهذا الجسد ليس جسد «نورمان بيتس»، ففراشه الصغير قدم أدلة كافية على أنه قد قضى ليلته فيه هو الآخر.

هناك من نامت هنا - وهناك من نظرت عبر شباك الحجرة كذلك لو وضعنا ملحوظة «أربوجاسيت» بالاعتبار - ولو أن من فعلت كل هذا هي «ماري»، فأين هي الآن؟

هنا تذكرت ملحوظة ذكرها العمدة أمامها. لقد قال أنه قد وجد «نورمان» بالغابة الموجودة خلف البيت، يجمع بعض الحطب للمدفأة، وتلك المدفأة موجودة بالقبو!

هرعت «ليلي» تنزل درجات السلم دون تفكير!

وجدت باب البيت الأمامي لا يزال مفتوحًا، بينما الرياح تزارر مقتحمة البيت الساكن، وشعرت بالذعر يتسلل داخلها وينهش قلبها بكل براعة.

لكنها تذكرت «ماري» وما يمكن أن يكون قد أصابها، فشعرت بالذعر يفسح مجالاً للشعور بالغضب، ولكم ارتاحت لهذا، فأحساس الغضب هذا يشعرها بالقوة، كما أنه يتمكن من إخفاء زعرها. لم يكن زعرها بسبب ما ينتظرها هي، وإنما بسبب ما يمكن أن يكون قد حدث لـ «ماري»، بالأسفل، في القبو!

لقد تمكن ذلك المختل من إبقائها هنا طيلة أسبوع كامل، وربما يكون قد قام بتعذيبها، وربما يكون قد قام بتقطيع أجزاء من جسدها كما ظهر بذلك الكتاب القذر الذي رآته بالأعلى في حجرته.

نعم، لا بُدَّ أنه قد قام بتعذيبها حتى عرف بأمر المال، ثم.. القبو!

يجب أن تعثر على القبو.

شقت «ماري» طريقها عبر الردهة، وحتى وصلت للمطبخ المظلم.

بمجرد أن أشعلت النور حتى شهقت مرعوبة، وأخذت تحرق صامتة في الحيوان الصغير المغطى بالفراء، والذي شعرت به يستعد للانقضاض عليها، لكنها لم تلبث أن استردت هدوءها عندما أدركت أنه مجرد سنجاب محنط، وقد أخذ يرمقها بعينه الزجاجيتين الخاليتين من الحياة، واللتين لمعتا ببريق مرعب انعكس من مصابيح السقف الضخمة.

خرجت من المطبخ وخطت عبر الردهة التي امتدت بمحاذاة السلم، وهي تتحسس الجدار بأناملها، حتى تعثرت بأناملها بزر الإضاءة.. انطلق شعاع باهت ينير درجات السلم التي نزلت لأسفل نحو القبو، وتقاطع صوت دقات كعبيها فوق الدرجات مع صوت الرعد الذي أخذ يعزف سيمفونيته الوحشية بالخارج.

وقفت «ليلى» أمام الباب الحديدي الثقيل الذي يقود للمدفأة الرئيسية، وقد أخذ جسدها كله يرتجف.

أدركت في أعماقها - لأول مرة منذ بدأت تلك القصة - كم كان غياباً منها أن تأتي هنا بمفردها، بالضبط كما كان غياباً منها أن تفعل كل ما فعلته حتى الآن.

لكنها يجب أن تستمر، من أجل «ماري»، لا يمكنها التوقف الآن.. يجب أن تفتح باب تلك المدفأة لترى ماذا يوجد بالداخل، بالرغم من أنها تكاد تكون متأكدة مما ينتظرها فيها!

رباه، ماذا لو وجدت جنتها المشوهة بالداخل؟ بقايا جنتها بالأحرى.. ماذا لو أن النيران لا تزال مستمرة بالداخل تلتهم جنتها؟ ماذا لو...؟

لكن الباب المعدني كان باردًا.. لم يكن هناك أي سخونة صادرة عن تلك المدفأة.. كما لم تكن هناك أي رائحة أو رماد أو أي شيء.. هذه المدفأة لم تستعمل منذ عدة شهور!

مجرد إنذار خاطئ، لا يوجد شيء هنا يسترعي الانتباه، يجب أن تبحث في مكان آخر.

هكذا استدارت «ليلى» مبتعدة.. لمحت منضدة وبضع كراسي بجوار الحائط.. وعلى المنضدة تراصت بضع زجاجات فارغة، وأدوات نجارة، ومجموعة من السكاكين الضخمة!

كانت بعض تلك السكاكين ذات شكل غريب معقوف، وبجوارها تراصت عدة سرنجات ضخمة زجاجية مربية.

لمحت كذلك بعض الأدوات الغريبة، من ضمنها مادة بيضاء ذكرتها بالجيس الذي وضعه حول ساقها عندما كسرتها في طفولتها. اقتربت «ليلى» في بطاء حذر من المنضدة، وأخذت تتأمل السكاكين الغريبة المنظر وهي شاردة الذهن، وهنا سمعت ذلك الصوت!

بالبداية ظنته صوت الرعد، لكن هناك صوت آخر تبعه، صوت صرير أتى من فوق رأسها، وهنا عرفت أن أحدهم قد دخل البيت!

هناك من يسير على أطراف أصابعه لكي لا يصدر أي صوت، لكن صرير الخشب العتيق فضحه، هل يكون «هنري»؟ هل أتى لمساعدتها؟ لكن كيف عرف أنها هنا أصلاً؟ ولو كان «هنري» فعلاً، فلماذا لم ينادها باسمها؟ ولماذا قام بإغلاق باب القبو؟ سمعت صوت باب القبو وهو ينغلق في تلك اللحظة!

استطاعت سماع صوت القفل الحاد وهو ينفتح، ثم صوت الخطوات وهي تبعد، وهنا تملكها رعب وحشي غير عقلائي!

لا بُدَّ أن الدخيل يصعد فوق درجات السلم للطابق الثاني، وقد انحبست هي هنا في هذا القبو القذر، ولا يوجد مفر أمامها!

لا مفر على الإطلاق.

القبو بكامله مرئي لأي شخص سيقدر نزول درجات السلم الموجود بالخارج، ولا بُدَّ أن أحدهم سينزل تلك الدرجات قريبًا. كانت متأكدة من أن الشخص الذي سمعت خطواته الخافتة المتسللة منذ قليل سيقدر النزول للقبو قريبًا عندما يدرك أن الدور العلوي خالي.. يجب أن تختبئ!

ربما لو اختبأت أسفل درج السلم نفسه؟ لو فعلت هذا سيضطر الدخيل أن ينزل درجات السلم كلها ليصبح داخل القبو ليتمكن من تفقد الأمور، وربما يمنحها هذا بضع لحظات تتمكن فيها من الجري لأعلى.. لو تمكنت من تغطية نفسها ببعض الأقمشة القديمة أو سجادة - وهنا لمحت «ليلي» السجادة المعلقة على الجدار البعيد، كانت سجادة هندية ضخمة مهترئة - فاتجهت نحوها لتنتزعها من على الحائط لترتديها، وبمجرد أن انتزعتها حتى لمحت الباب الذي يختبئ خلفها!

لا بُدَّ أنه توجد غرفة أخرى وراء ذلك الباب.

وجدت صوتًا بداخلها يرتفع:

أيًا كانت حالة «ماري»، وهل هي هنا بإرادتها أو رغما عنها، فهذا الحجر هي أنسب مكان لإخفائها!

انحنت لتتنظر عبر ثقب الباب الجديد، لكنها لم تتمكن من رؤية أي شيء سوى الظلام. وقفت مكانها للحظة مترددة لا تدري ماذا يجب أن تفعل، ثم لم تلبث أن قررت، فأخذت نفسًا عميقًا، محاولة استجماع شجاعته وقوتها، ثم ألقت بكل ثقلها على الباب الذي انفتح بسهولة!

سمعت صوت خطوات أعلى بالردهة، فأخرجت عود ثقاب جديد واشعلته سريعًا لتبحث عن زر الإضاءة، فأشعلته.. لكنها بمجرد أن تقدمت خطوة واحدة للأمام حتى انفجر فمها عن صرخة مدوية ردها البيت بأكمله!

فأمام عينيها وجدت وجهًا كالحا شديد السواد يطالعهها من أحد أركان القبو. وجه عجوز متعفن ملئ بالتجاعيد ينظر نحوها مبتسمًا بفمه البارز الأسنان، كأنه وجه الموت نفسه!

وجدت نفسها تهتف:

- م... مدام «بيتس»؟

- نعم!

لكن الجواب جاء من خلفها، لا من الجمجمة الميتة الغائرة العينين التي ترمقها في صمت من ركن الحجرة. نظرت للخلف فوجدت من ترتدي ثوب نسائي قديم، وقد بدا الثوب ضيقًا للغاية بسبب الجسد البدين الذي ارتداه، وقد غطى الوجه كله والشفيتين بالأصباغ وأدوات التجميل.. بدا كوجه امرأة عجوز مجنونة!

سمعت الصوت يكمل بقسوة:

- أنا «نورما بيتس»، لن أدعك تمسين طفلي «نورمان» بأذى أيتها العاهرة!

ارتفعت صرخات «ليلي» وهي تتراجع للخلف، وتتنظر نحوها في فزع، بينما تألق في ضوء مصباح الغرفة السكين العملاق الذي يحمله، والذي هجم به عليها!

ارتفع صوت خطوات تهرول نازلة السلم الذي يقود للقبو، ولمحت «ليلي» من بين دموعها «هنري» والعمدة وهما يجريان نحو مهاجمها، والذي انحدر الشعر المستعار عن رأسه، ليظهر وجه «نورمان»، قبل أن يمسك «هنري» بيده بغلظة فيديرها خلف ظهره.

تعجبت «ليلي» من استمرار صرخاتها بينما فمها مغلق، ثم أدركت أن الصرخات لم تكن صادرة منها.

كانت صرخات امرأة مجنونة، وكان مصدرها «نورمان بيتس»!

## الفصل السادس عشر

لم تتمكن السلطات المحلية من استخراج السيارتين من المستنقع قبل مرور أسبوع كامل من العمل المستمر. امتلأت صحف الولايات المتحدة كلها بالحديث عن «نورمان بيتس» وجرائمه، فزعمت بعض الصحف أنه يأكل لحم ضحاياه بعد قتلهم، بينما زعمت صحف أخرى أنه يأكلهم أحياء! ادعت بعض الصحف أنه كان يقتل جميع النزلاء الذين يقودهم حظهم العثر للنزول بفندقه، لكن الشيء الوحيد الذي اجتمعت جميع الصحف عليه هو مطالبتهم جميعًا بأن يتم تجفيف المستنقع بالكامل للبحث عما قد يكون فيه من جثث!

قامت السلطات بإغلاق الفندق المشؤوم، ووضعت تحت الحراسة المشددة، بينما تم وضع مالكه «نورمان بيتس» نفسه تحت ملاحظة ثلاثة أخصائيين في علم النفس في إحدى المستشفيات الحكومية.

تمكن «هنري» - بعد مرور عشرة أيام كاملة - من الوصول لنسخة من تقرير الدكتور «شتاينر» - أكبر الأطباء الثلاثة الذين يتابعون حالة نورمان بيتس - وقد جاءت «ليلي» خصيصًا من مدينة «فورت ويرث» لتعرف نتيجة التحقيق، فلم يجد «هنري» مفترًا من مصارحتها عندما تقابلا بمتجره:

- للأسف الشديد لن تتمكن من الوصول إلى الملابس الكاملة لتلك الحادثة المؤسفة، لكن هناك بعض الحقائق التي تمكن الدكتور «شتاينر» من التوصل إليها بعدما تمكن من السيطرة على «نورمان».

يبدو أن «نورمان» هذا أصيب بعقدة نفسية تعود لطفولته، فقد كان يعتمد على أمه في كل شيء، وكان شديد التأثر بها لدرجة أنه في بعض الأحيان اعتاد على ارتداء ثيابها، لأنه يتمنى أن يكون مثلها، وعندما فكرت الأم في الزواج من عشيقها «كونسدين»، أصيب «نورمان» بصدمة كبيرة. لم يستطع أن يتصور حياته بدونها، أو يتقبل فكرة أن يشاركه أحدهم فيها، فقام بقتل أمه وعشيقها بالسم، وكتب تلك الرسالة التي قام فيها بتقليد خط أمه بدقة! بل إنه قام بتأليف دافع مقنع للانتحار، شيء يتعلق بوجود حمل، وعدم قدرة «كونسدين» على الزواج منها بسبب كونه متزوجًا بالفعل ولديه عائلة في الساحل الغربي، حيث كان يعيش باسم مزور.

يقول دكتور «شتاينر» أن محتويات رسالة الانتحار تلك كان المفترض أن تكون كافية لتوحي بوجود شيء خاطئ، لكن لم يلحظ أحد هذا.

كل ما لاحظوه هو كون «نورمان» قد قام بالاتصال بالعمدة للحضور. أدركوا وقتها أنه مصاب ببعض الهستيريا بسبب الصدمة، لكن ما لم يدركوه هو أنه

قد تغير للأبد أثناء كتابة تلك الرسالة. يبدو أنه - بعدما انتهى كل شيء - لم يستطع تحمل صدمة فقدان والدته، ورغب في استعادتها من جديد!

ويقول دكتور «شتاينر» أن موضوع ازدواج شخصيته هذا قد بدأ غالبًا من اللحظة التي قام فيها بكتابة تلك الرسالة - بخط أمه وأسلوبها - التي وجهها لنفسه، فصار هناك جزء بداخله يمثل أمه التي تمتلك زمام الأمور، وجزء آخر يمثل «نورمان» الذي لا حول له ولا قوة.

صرح الدكتور «شتاينر» أن تلك الحالة ليست غير معتادة، خصوصًا عندما يكون الشخص غير متزن من البداية، كما كان «نورمان».. وقد أتى حزنه ليطلق المارد من عقاله. كان رد فعله شديدًا، والمشكلة أنه لم يفكر أحد وقتها في التشكيك في حادثة الانتحار.

كان كل من «كونسدين» وأمّه داخل قبريهما قبل خروج «نورمان» من المستشفى بوقت طويل.

- وعندما خرج من المستشفى استخرج جسدها؟

علقت «ليلي» مقطبة، فهز «هنري» رأسه مكملًا:

- يبدو أن هذا ما حدث، خلال شهور معدودة على أقصى تقدير كان قد فعلها واستغل هواية التحنيط ليقبها بجانبه!

- لا أفهم.. لو أنه يظن نفسه أمه، إذن...

- الموضوع ليس بتلك البساطة.. فحسب كلام «شتاينر»، فإن «نورمان» يعاني من انفصام شخصية شديد، فتواجدت بداخله ثلاثة شخصيات على الأقل. هناك «نورمان»، وهو مجرد طفل صغير يحتاج لأمه، ويكره كل شيء وكل شخص قد يدخل فيما بينهما، ومستعد لفعل أي شيء لمنع هذا.

وهناك «نورما»، الأم، التي لم يُسمح لها بأن تموت، وربما يمكننا أن نطلق على الشخصية الثالثة اسم «نورمال»، وهو يرمز لـ «نورمان بيتس» البالغ، الذي تولى مسؤولية القيام بمهام «نورمان» الروتينية العادية، والاعتناء بالفندق، ويقوم كذلك بإخفاء وجود الشخصيات الأخرى من العالم. بالطبع لم تكن كل شخصية من الثلاثة منفصلة بالكامل عن الباقيين، وكل شخصية منهم كان بها لمحات من الشخصيتين الأخرتين.. يدعو د. «شتاينر» تلك الحالة بـ «الثلاثي غير المقدس»، الأم، والابن، والشخص البالغ!

لكن «نورمان بيتس» البالغ كان يتحكم في مقادير الأمور جيدًا، وعندما خرج من المستشفى، عاد للفندق ليدير أموره، وهنا شعر بالضغط عليه تتزايد، وأكثر ما كان يضغط على أعصابه - بصفته شخصية بالغة - هو الشعور



بالذنب بسبب معرفته بوفاة والدته، ولم يكن الحفاظ على حجرتها كافيًا.  
رغب في الحفاظ عليها هي الأخرى!

رغب في الحفاظ على جسدها، لأن وهم حضورها بجسدها بجواره سيخفف  
من وطأة الشعور بالذنب الذي يثقل كاهله.

لهذا أخرجها من القبر ومنحها حياة جديدة. فكان يضعها بالفراش بالمساء،  
ويلبسها ملابسها ويأخذها لتجلس بالمنزل بالنهار! وطبعًا كان يخفي كل هذا  
عن الأعراب حتى لا يسمع أي أسئلة غير مرغوب فيها، وقد تمكن من فعل  
هذا جيدًا. لا بُدَّ أن «أريوجاست» قد رأى من تجلس عبر نافذة الحجرة  
العلوية، لكن ليس هناك أي دليل على أن هناك من رآها غيره طيلة تلك  
الأعوام.

تمت «ليلي»:

- أي أن المأساة لم تكن تدور بالبيت كما كنت أتوقع، بل كانت...

- في عقله! يقول «شتاينر» أن علاقتهما كانت مشابهة لعلاقة محرك  
العرائس بعرائسه. لا بد أن الكثير من المحادثات قد دارت بين الأم  
و«نورمان» الصغير، بينما يتولى «نورمان» البالغ الحفاظ على الأمور تحت  
السيطرة، فقد كان متمكنًا من التظاهر بالتعقل أمام الجميع، لكن من يدري  
حقًا ما مقدار ما يعرفه؟ كان مهتمًا بالقراءة في الكثير من المجالات، مثل  
السحر وعالم ما وراء الطبيعة، كما أنه على الأرجح كان يؤمن بقدرته على  
استعادة روحها من جديد لو تمكن من الحفاظ على جسدها عبر التحنيط.  
كما أنه لا يستطيع رفض أو تدمير أجزاء شخصيته الأخرى دون رفض وتدمير  
نفسه. كان يدير ثلاثة حيوات في نفس الوقت. وقد تمكن من الإفلات بفعلته  
لوقت طويل حتى...

صمت «هنري» مترددًا، لكن «ليلي» أكملت عبارته:

- حتى ظهرت «ماري»، وحدث شيء، وقتلها!

- الأم هي من قتلها.. لا توجد وسيلة لمعرفة ما حدث بالضبط ليلتها، لكن د.  
«شتاينر» متأكد من أن شخصية الأم - «نورما» - هي من تتولى زمام الأمور  
عندما تحدث مشكلة، بينما يبدأ «نورمان» في معاقرة الشراب حتى يفقد  
وعيه. وأثناء فقدان وعيه من أثر الخمر يقوم بارتداء ملابسها، وبعد ما حدث  
يقوم بإخفاء جسدها، لأن في عقله هي القاتل الحقيقي الذي يجب حمايته  
من العقاب.

- إذن فد. «شتاينر» متأكد من أنه مجنون؟

- معقد نفسيًا.. هذا هو المصطلح الذي استخدمه. نعم.. للأسف.. سيضع تقريره بأنه يجب وضع «نورمان» في مستشفى الولاية، على الأرجح للأبد.

- إذن لن تكون هناك محاكمة من الأصل أو سيتم سجنه؟

- للأسف يا ليلي، لا أظن أنه سيكون.

تنهد «هنري» بصوت مسموع مكملًا:

- آسف للغاية.. أعرف أنك لم تتوقعي هذا وأنتك تشعرين بأنك...

- بخير.

قاطعته «ليلي» ببطء، ثم أكملت:

- الأمور أفضل بتلك الطريقة.. كم تسير الأمور بغرابة في الحياة وبشكل غير متوقع في أوقات كثيرة.. لم يتجه تفكير أحد منا نحو الحقيقة، وإنما ظللنا ندور حول أنفسنا، حتى قمنا بالتصرفات الصحيحة لكن للأسباب الخاطئة.. ولو أنك سألتني عن شعوري نحوه، فلا يمكنني أن أقول أنني أكره «نورمان بيتس» هذا لما فعله.. لا بُدَّ أنه عانى أكثر من أي شخص فينا.. بطريقة ما، أكاد أفهمه.. لسنا جميعًا عاقلين متزنين طيلة الوقت، صح؟

هز «هنري» رأسه موافقًا في صمت، ثم لم يلبث أن قام من مكانه ليصاحبها للخارج، وسارت «ليلي» بجواره حتى وصلا للباب.

- علي أية حال، لقد انتهى كل شيء، وسأحاول بقدر وسعي أن أنسى كل هذا.. أن أنسى كل شيء يتعلق بتلك القصة.

- كل شيء؟

تمتم «هنري» بصوت خافت دون أن ينظر نحوها.

- حسنًا، ليس كل شيء بالكامل.

لم تنظر نحوه هي الأخرى، وكانت تلك هي النهاية، تقريرًا.

## الفصل السابع عشر

أتت النهاية الحقيقية بهدوء..

أتت داخل غرفة صغيرة محاطة بالقضبان، تصاعدت داخلها همهمات وأصوات كثيرة متداخلة لوقت طويل.. أصوات كثيرة تتكون من صوت رجل، صوت امرأة، وصوت طفل.

انفجرت تلك الأصوات عندما تم استدعاؤها، وبدت كأنما قبيلة قد انفجرت لتطلق مئات الشظايا، أما الآن - وكأنما بمعجزة - فقد التحمت كل تلك الأصوات، ولم يعد ظاهرًا منها غير صوت واحد. وهو شيء جيد، لأنه لا يوجد إلا شخص واحد داخل الحجر. ليس هناك - ولم يكن هناك - إلا شخص واحد داخل تلك الحجر طيلة للوقت.. شخص واحد فقط.. أدركت هي هذا الآن! عرفت هذا وكانت ممتنة لمعرفة هذا.. فهذا يجعل الأمور أفضل كثيرًا. تستطيع الآن أن تنظر للماضي كأنه كان مجرد حلم سيئ، وهذا هو ما كانه فعلاً، مجرد كابوس يمتلئ بالأوهام والوساوس. في مكان ما من ذلك الكابوس كان هناك صبي شرير.. الصبي الذي قتل حبيبها ثم حاول تسميمها!

في مكان ما من ذلك الكابوس دارت الكثير من الأحداث الشنيعة.. الكثير من الخنق واللهاث والخدوش التي لحقت بالوجوه التي اكتست باللون الأزرق.. الكثير من الصرخات والكثير من اللعنات، ثم صمت الموت.. صمت ظل لبضع شهور ظل فيها الصبي داخل المستشفى.

في مكان ما من ذلك الكابوس قبعت المقابر بالليل والحفر وفتح غطاء التابوت، ثم لحظة الاكتشاف. اللحظة التي أخذ يحدق فيها في الجسد الذي يرقد داخل التابوت. لكن الجسد الذي رقد داخل التابوت لم يكن ميتًا.. لم يعد كذلك!

لقد مات الصبي الشرير عوضًا عن هذا، وهو الشيء الأفضل.

كان هناك رجل شرير في الحلم أيضًا، وكان قاتلاً كذلك.. كان يختلس النظر نحو النساء عبر الحائط وكان يعاقر الشراب، وكان يخفي الكثير من الكتب البذيئة ويعتقد بالكثير من الأشياء المجنونة.

لكن أسوء شيء هو كونه مسؤولًا عن موت اثنين من الأبرياء - تلك الشابة ذات القوام المتناسق، وذلك الرجل ذو القبعة الرمادية - عرفت هي كل شيء طبعًا، ولهذا فهي تتذكر التفاصيل كلها، لأنها كانت هناك وقت حدوث ما حدث.. كانت تراقب كل شيء.. لكن كل ما فعلته هو أنها راقبته في صمت ودون أن تتدخل.

قام الرجل الشرير بارتكاب الجريمتين ثم حاول إلقاء اللوم عليها.. يقول إن أمه هي من قتلتها! لكن تلك مجرد كذبة.. كيف تستطيع قتلها بينما هي لم تفعل ما هو أكثر من المشاهدة، فهي لا تستطيع الحركة حتى، لأنها كان يجب أن تتظاهر بكونها جسدًا محنطًا.. مجرد جسد محنط عاجز عن الحركة أو أذية أي شخص.. عاجز عن الكلام حتى.

عرفت أن أحدًا لن يصدق الرجل الشرير، وعرفت أنه قد مات.. الرجل والطفل كلاهما قد ماتا، وإلا فهما الاثنان كانا مجرد جزء من الحلم، وقد انتهى ذلك الحلم للأبد.

هي الوحيدة المتبقية، وهي حقيقة من لحم ودم.

أن يدرك المرء أنه الوحيد المتبقى، فهذا يعني أنه عاقل، صح؟ لكن تويًا للحرص، ربما من الأفضل أن تتظاهر أنها لا تزال مجرد جسد محنط، فلا تتحرك.

فلتجلس مكانها في تلك الحجرة الصغيرة للأبد.

لو جلست هناك دون تحرك، ربما يقرروا عدم عقابها.

لو جلست هناك دون تحرك، ربما سيفهمون أنها عاقلة!

جلست مكانها صامتة لوقت طويل، قبل أن تتسلل ذبابة عبر القضبان وهي تصدر أزيزًا مستمرًا.

استقرت الذبابة على كفها.

لو أنها تريد، فبوسعها أن تهز يدها فتهدش تلك الذبابة، لكنها لم تفعل، وتمنت لو أنهم يشاهدونها ويلاحظوا مدى هدوئها، فهذا يدل على مدى عقلها.

فهي لا تستطيع أن تؤذي ذبابة حتى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

**(تمت بحمد الله وتوفيقه)**

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

# متميزون للكتب النصية



**Group Link - لينك الانضمام الى الجروب**

**Link - لينك القناة**

# الفهرس..

[الفصل الأول](#)

[الفصل الثاني](#)

[الفصل الثالث](#)

[الفصل الرابع](#)

[الفصل الخامس](#)

[الفصل السادس](#)

[الفصل السابع](#)

[الفصل الثامن](#)

[الفصل التاسع](#)

[الفصل العاشر](#)

[الفصل الحادي عشر](#)

[الفصل الثاني عشر](#)

[الفصل الثالث عشر](#)

[الفصل الرابع عشر](#)

[الفصل الخامس عشر](#)

[الفصل السادس عشر](#)

[الفصل السابع عشر](#)